١٤

نورٌ على طريقِ العلم

٥٧ مقالًا في طَلَبِ العلم

تأليف

سُلطانُ بنُ عبدِ اللهِ العُمريّ

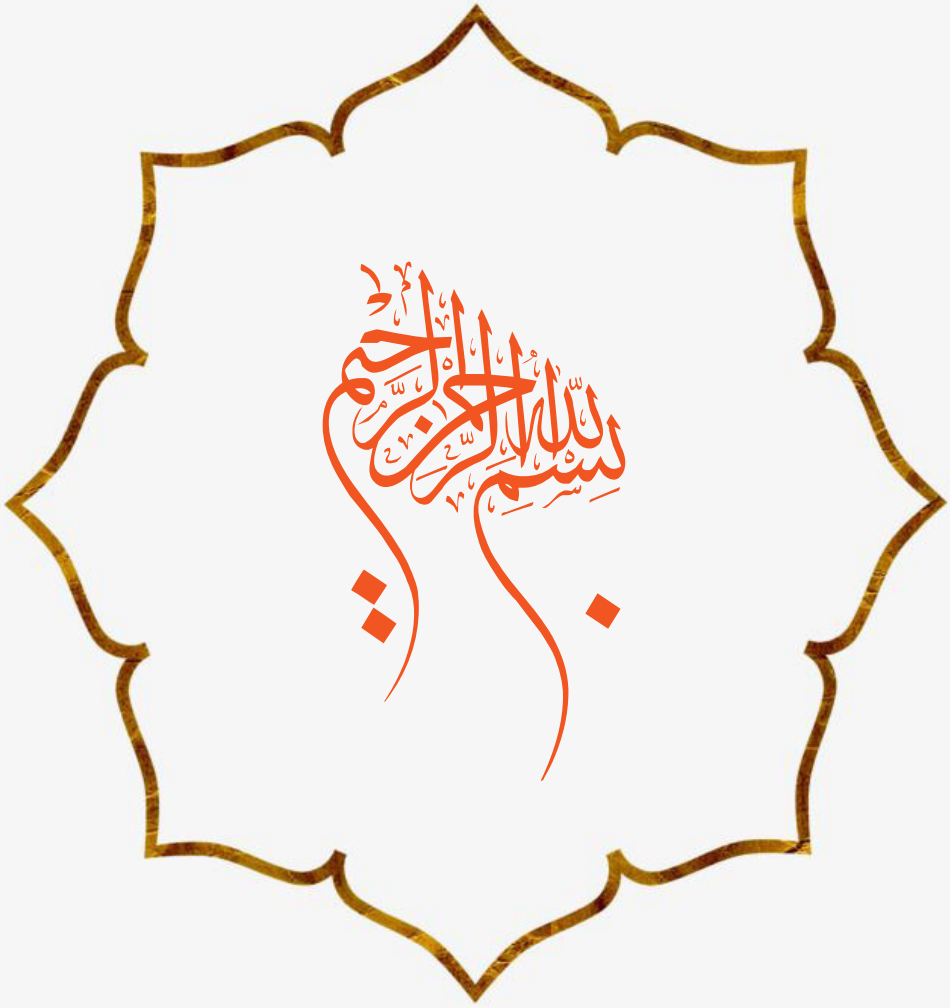
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، أما بعد.

فإنَّ منْ أعظم النعم علَى المرءِ أنْ يشرَحَ اللهُ صدرَهُ لطلَبِ العلم، ثُمَّ يبدأَ السيرَ في طريقِ العِلْم.

ومِنَ الجميلِ أَنْ يتعرَّفَ الطالِبُ على آدابِ الطلَبِ، وما هِيَ الآفَاتُ التي يقعُ فيهَا بعضُ الطلابُ، وماهي الاستشَارَاتُ المهمةُ التي تفيدُ الطالِبَ في هذا الطريق.

لهذا كتبتُ لَكُمْ هذه الرسائِلَ التي أسألُ اللهَ أنْ تنفَعَ طالِبَ العلمِ فِي مسيرَتِهِ العِلْمية.

لماذَا نطلُبُ العلم؟

إنَّ المقصودَ بالعلمِ الذي جاءَتِ النصوصُ بالحَثِّ عليهِ هوَ العلمُ الشرعِيُّ، علمُ الكتابِ والسنةِ، ومَا يساعِدُ عَلى فهمِهِ وضبطِه.

وحينمَا يبدأُ الشخصُ بطلَبِ هذا العلمِ بأيِّ وسيلةٍ تناسبُهُ فإنَّه يفوزُ بعدَّةِ فضائِلَ، ومنهَا:

١. أنَّ المتعلِّمَ يزدادُ خشيةً للهِ تعالى، كما قالَ تعَالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: آية ٢٨]، وذلكَ لأنَّ فِي العلمِ عدةَ أدلةٍ ومسائِلَ تملأُ قلبَكَ من تعظيمِ اللهِ وخشيتِهِ، مثلَ علمِ العقيدَةِ وما يتفَرَّعُ منهُ مِنْ علومٍ كمسائلِ الأسماءِ والصفاتِ التي تُعَرِّفُكَ باللهِ تعالَى

بشـكلٍ إيمَانِيٍّ عجيبٍ، ومِنَ العلـومِ مَا يتعَلَّقُ بالمخلوقَـاتِ باختِـلافِ أنواعِهَـا، وهذَا يملأُ قلبَـكَ إجلالاً لهَـذَا الخَالِـقِ، وغيرُ ذلـكَ مِنَ العلومِ التي يزدَادُ القلبُ بها إيمانـًا.

٢. **أنَّ المتعلِّـم لهذا الدينِ ليسَ كغيـرِه مِنَ الجُهَّالِ،** قالَ تعالَى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: آية ٩]، ونفْيُ المساوَاةِ هنَا دليلٌ علَى شرَفِ أهلِ العلم.

٣. **أنَّ طالِبَ العلمِ يُعتبَرُ مِنَ المصادِرِ المهمةِ في تعليمِ النـاسِ وإرشـادِهِمْ** لمَا ينفعُهُـمْ في دينِهِمْ، ولهذا أمَرَ اللهُ بسـؤالِ أهلِ العلمِ، قـالَ تعالَى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْـلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: آية ٤٣].

وهذا هو الشرَفُ الكبيرُ أنْ تكونَ بينَ اللهِ وبينَ عبادِهِ فِي تعليمِ النَّاسِ ما يُصحِّحُ عبادَتَهُمْ أو معاملاتِهِمْ أو أخلاقَهُمْ.

٤. **أنَّ اللهَ أمَرَ نبيَّهُ بطلبِ الزيادَةِ منهُ**، قالَ تعالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: آية ١١٤]، ولمْ يأمُرِ اللهُ نبيَّهُ بأنْ يطلُبَ الزيادَةَ فِي شيءٍ إلا فِي العِلْمِ.

ومِنَ الأحاديثِ الدالَّةِ على فضلِ العلْمِ:

١. حديثُ «من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقهَ في الدين» متفق عليه.

فإذا رأيتَ أنَّ اللهَ قَدْ شرَحَ صدرَكَ للعلمِ ومجالسَةِ أهلِهِ والاستفَادَةِ منهم، أو الاستِفَادَةِ منْ أيِّ وسيلةٍ نافعَةٍ لتحصيلِ العلمِ، فاعلَمْ أنَّ اللهَ أرادَ بِكَ خيراً.

٢. حديثُ «لا يزالُ اللهُ يَغرسُ في هذا الدينِ غَرسًا يستعْمِلُهُمْ في طاعَتِهِ» رواهُ ابنُ حِبَّان وابنُ ماجَه، وصحح البوصيريُّ إسنَادَهُ.

قالَ ابْنُ قدَامَةَ: وغرسُ اللهِ همْ أهلُ العلْمِ والعَمَلِ.

٣. حديثُ «فَضلُ العالِمِ على العابِدِ كفضلِ القمرِ علَى سائرِ الكواكِبِ» رواهُ الترمِذِيُّ وحسَّنَه.

وهنَا وقفَةٌ: مَا وجهُ تشبيهِ العالِمِ بالقَمَرِ؟

الجوابُ:

١. أنَّ القمَرَ يأخُذُ نورَهُ مِنَ الشمسِ، وهكذَا العالِمُ يأخُذُ علمَهُ مِنَ الكتَابِ والسُنّة.

٢. أنَّ القَمَـرَ لـهُ عدَّةُ درجَـاتٍ «هلالٌ، بـدرٌ، وما بينهُمَا» وهكذَا العلمَاءُ يتفاوَتُونَ فِي علمِهِمْ.

٣. أنَّ القمر يضيءُ للناسِ في ليلِهِمْ، وكذلكَ العالِمُ يرشِدُ النَّاسَ ويأخُذُ بأيديهِم إلَى طريقِ الخيرِ.

وقفَةٌ أخرَى: فضْلُ العالِمِ علَى العابِدِ مِنْ أمُورٍ:

* أنَّ نفـعَ العالِمِ مُتعـدٍّ؛ بخلافِ نفـعِ العابِدِ فهُوَ مقتصِرٌ علَى نفسِهِ.
* أنَّ العِلْمَ يُصحِّحُ العبادَةَ وليسَ العكس.
* أنَّ العلمَاءَ ورثَةُ الأنبياءِ وهذَا ليسَ للعابِدِ.
* أنَّ العابِدَ تبَعٌ للعالِمِ مقلدٌ لَه.
* أنَّ العلمَ يبقَى نفعُهُ ويستمرُّ أجـرهُ بَعْدَ الموتِ وهذَا لا يَكونُ فِي العبادَةِ.

٤. حديثُ «مَنْ دعَا إلى هُدى كانَ لَهُ مِنَ الأجرِ مثلُ أجورِ مَنْ تَبِعَه، لا ينقصُ ذلكَ مِنْ أجورِهِمْ شيئًا، ومَنْ دعَا إلى ضلالَةٍ كانَ عليهِ مِنَ الإثْمِ مثلُ آثامِ من تبعَهُ، لا يُنْقِصُ ذلكَ مِنْ آثامِهِمْ شيئًا» رواهُ مسلم.

وكلُّ أحاديثَ فضلِ الدعوَةِ والتعليمِ تدخُلُ ضمنًا فِي أحاديثِ فضلِ العلمِ، لأَنَّ الدعوةَ لا تقومُ إلَّا علَى أسَاسِ العلْمِ.

٥. حديثُ «إنَّ اللهَ وملائكَتَهُ ليُصلُّونَ علَى مُعلّمِ النّاسِ الخير» رواه الترمذي وصححه الألباني.

فانْظُرْ لهذَا الفضلِ الكبيرِ، كيفَ يفوزُ مَنْ يُعلِّمُ النَاسَ بثنَاءِ اللهِ، واستغفَارِ الملائكَةِ بسببِ تعليمِهِ، وهذَا لَنْ يتحقَّقَ لَهُ إلا إذَا كانَ لديْهِ علمٌ ولَوْ كانَ قليلاً.

٦. حديثُ «مَنْ سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ طريقًا إلَى الجنة» رواه مسلم.

وهذَا يؤكِّدُ أنَّ العلْمَ طريقٌ عظيمٌ للوصولِ إلَى مرضَاةِ اللهِ تعالَى التي يصِلُ بهَا العبْدُ إلى الجَنَّة.

❋❋❋

فوائِدُ العلمِ في حياةِ الشخْصِ

١

مِن فوائِدِ العلمِ أَنَّ بِهِ تصحيحًا للعقائِدِ، ولا شَكَّ أنَّ أمرَ العقيدةِ هُوَ أعظمُ الأمورِ؛ لأنَّ فيهِ بيانَ حقِّ اللهِ علَى العبَادِ، وفيهِ النجَاةُ فِي الدنيَا مِنَ الشُّبُهَاتِ والمخالفَاتِ، والنجَاةُ فِي الآخرَةِ مِنْ عذابِ اللهِ، ولهَذَا تواتَرَتِ النصُوصُ بالعنَايةِ بالعقِيدةِ وحفظِهَا مِنْ مبطلاتِهَا أو مِمَّا يُنقِصُهَا، وقَدِ اعتنَى العلمَاءُ قديمًا وحديثًا بذلِكَ، ولا ريْبَ أنَّ العلْمَ هُوَ أعظمُ ما يُصحِّحُ عقائِدَ الناسِ، إذ كيفَ يفَرِّقُ الناسُ بينَ التوحيدِ والشرْكِ إلا بالعِلْمِ.

ولهَـذَا قـالَ العلمَـاءُ: إنَّ طلـبَ العلـمِ المتعلِّـقِ بأصولِ الدينِ وأصـولِ العقيدَةِ فرضُ عينٍ علَى كلِّ مسلمٍ قادِرٍ.

وإذا تأمَّلْـتَ في حالِ بعضِ النـاسِ لرأيتَ العجبَ مِنَ المخَالفَاتِ العقديَّةِ، ولا شـكَّ أنَّ غيابَ العلمِ أَوِ العلمَاءِ لَهُ دورٌ في ذلكَ الجهْلِ الكبيرِ عندَهُمْ.

٢

ومِن فوائدِ العلمِ، أنَّهُ وسيلةٌ لتصحِيحِ العبَادَاتِ.

فاللهُ خلقَنَا لعبادَتِهِ، وبدونِ العلمِ يا ترى كيفَ سنؤدي العبَادَةَ، يا تُرَى كيفَ نصلِّي ونصومُ ونعتَمِرُ ونحُجُّ؟

وانظـرْ لحالِ الكثيرينَ الذيـنَ يقعُونَ فِي أخطاءٍ في عباداتِهِمْ تجِدُ أَنَّ الجهلَ هُوَ السببُ فِي ذَلِكَ.

٣

ومِنْ فوائِدِ العِلْمِ، أنَّهُ وسيلةٌ لتصحِيحِ المعامَلَاتِ.

وهـذَا يظْهَـرُ في البيـعِ والشـرَاءِ ومـا يتعلـقُ بِهِما مِنْ مسـائِلَ، وهلْ دخَلَـتْ علينَا المحرَّمَـاتُ الماليةُ والشـبهَاتُ إلا بسـبَبِ الجهْـلِ بحكمِهَـا أوْ بعقُوبَةِ التساهُلِ في ارتكابِهَا؟

ويأتِي العلـمُ ليصحِّحَ المسـارَ ويوضِّحَ الصوابَ مِنَ الخَطَأ في تلكَ المعامَلاتِ.

ومِنْ فوائِدِ العلمِ، التحذِيرُ مِنْ وسائِلِ الشيطَانِ.

ولهَذَا فإنَّ الذي يُعلِّمُ الناسَ يسعى لإفسَادِ خُطَطِ الشيطانِ، لأنَّ الشيطانَ يسعَى لإضلالِ الناسِ كمَا قالَ تعالَى ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ [فاطر: آية ٦].

ويأتِي العالِمُ بتوجيهَاتِهِ ليبَصِّرَ الناسَ بالطريقِ المُوصِلِ إلَى اللهِ، وليحذِّرَهُمْ منْ خُطُوَاتِ الشيطان.

٥

ومِنْ فوائِدِ العلمِ، أنَّهُ يُصحِّحُ المعلومَاتِ.

نعـمْ، لقد درَسْـنَا في المدارِسِ وسـمعْنَا القِصَصَ مِنَ الآبَاءِ والأجدَادِ ونظرْنَا في الكتُبِ، ونسمَعُ ونَرَى فِـي مواقِعِ التواصُلِ الكثيرَ مِنَ المعلومَاتِ، ولكنْ يا تُـرى مَا الصحيـح منها، وكم هُوَ الباطِـلُ والخرافَةُ، ويأتِي هنا دورُ العِلْمِ ليُصحِّحَ تلكَ المعلومَاتِ.

٦

ومِنْ فوائِدِ العلمِ أَنَّ فيهِ النَّجَاةَ مِنَ الفِتَن.

لأنَّ طلَـبَ العلـمِ يَحمِـي صاحِبَـهُ مِنَ الشـبُهَاتِ والشـهَواتِ، ثـمَّ إذَا انتَقَـلَ ذلكَ المتعلِّـمُ إلَى تعليمِ الناسِ فهذَا نورٌ على نورٍ، وبذلِكَ يكونُ مِنْ أسـبَابِ وقايَةِ المجتمَعِ مِنَ الفِتَنِ.

❋❋❋

الملائِكَةُ مَعَ طالِبِ العلْمِ والدّاعِيَة

مِنَ العجيبِ فِي طلبِ العلمِ أَنَّ هناكَ عنايَةً خاصَّةً بِمَنْ يسلُكُ هذَا الطريقَ، ألَا وهوَ محَبَّةُ الملائِكةَ لِذلكَ الطالِبِ.

ويؤكِّدُ هذا المعنَى مَا جَاءَ فِي الحديثِ «وإنَّ الملائِكَةَ لتضَعُ أجنحَتَها لطالِبِ العلْمِ رضًا بِمَا يصنَعُ» وفي رواية «رضًا بِمَا يَطْلُبُ». رواهُ أحمدُ بسنَدٍ صحيح.

وهذه المكانةُ لم تأتِ في علمِي إلا لطَالِبِ العلْمِ فقط، ومعنَى «تَضَعُ أجنحَتَها» أيْ تتواضَعُ لهُ، وقيلَ تنزِلُ عندَ مجلِسِ العلْمِ.

وكأنَّ الملائكَةَ تَرَى ذلكَ الطالِبَ الصادِقَ وهُوَ يقرَأُ أوْ يحفَظُ أو يسَافِرُ لأجْلِ العلْمِ؛ فتتواضَعُ لهُ محبَّةً لعمَلِهِ، وللشيءِ الذِي يطلُبُهُ وهُوَ العِلمُ الشرْعِيُّ.

وهـذَا يدعوكَ يَا طَالِبَ العلمِ للفرَحِ بهَـذَا العِلْمِ، حيثُ أنَّ هناكَ ملائِكَةً كرامًا يحبونَكَ ويتواضَعُونَ لكَ، فلَا تقلقْ مهمَا كنْتَ وحيداً فِي مسيرَتِكَ العلمِيَّةِ، ولا تَحْزَنْ عندَمَا تشعُرُ بتَفَرُّدِكَ فِي طَلَبِ العلمِ، لأَنَّ الملائِكَةَ تعْلَمُ بِكَ وتحِبُّكَ.

وبعدَمَا يكبُرُ ذلكَ الطالِبُ ويصبحُ معلِّمًا للخيرِ وداعيَةً إليهِ فإنَّ هناكَ شيئًا آخرَ تُقدِّمُهُ الملائكَةُ وهُوَ الاستغفَارُ لهُ كمَا في الحديثِ الصحيحِ «إنَّ اللهَ وملائكتَهُ حتَّى النمَلةَ فِي جُحْرِهَا وحتَّى الحوتَ فِي البحرِ ليُصلُّونَ علَى مُعلِّمِ الناسِ الخيرِ». رواهُ الترمذي وصححه الألباني.

فمَا أعجَبَ العلمَ فِي بدايَتِهِ ومَا أعجَبَ العلمَ وقَدْ أخذْتَ منْهُ ما يكفيكَ لتبليغِ الدينِ.

اللهُـمَّ اجعلْنَا مِمَّنْ تعلَّـمَ العلمَ وعلَّمَـهُ وعمِلَ بهِ ابتغَاءَ وجهِكَ يا ربَّ العالمين.

❋❋❋

التمَاسُ الأعذَارِ في المسيرَةِ العلميّة

في مسيرَتِكَ العلميَّةِ سوفَ تقرَأُ عَنِ اختلافِ العُلَمَاءِ وستقَابِلُ بَعْضَ طلابِ العلمِ والدعاةِ الذينَ تختَلِفُ معَهُمْ فِي مسائِلِ الاجتهَادِ التِي تقبَلُ وجهَاتِ النَّظَر.

والسؤَالُ هنَا: هلْ ستَكُونُ مِمَّنْ يلتَمِسُ الأعذَارَ لأهْلِ العلمِ والدعَاةِ أَمْ ستكونُ مِنَ الذينَ يتعصَّبُونَ لآرائِهِمْ، وربَّمَا صدَرَتْ منكَ أقوالٌ وأفعَالٌ لا تليقُ بأدَبِ العِلْم؟

يا طالِبَ العلمِ، إذَا كانَتِ الشريعَةُ قدْ عذَرَتِ العلمَاءَ في اجتهَادِهِمْ، بَلْ جَاءَ فِي الحديثِ «إذا حَكَمَ الحاكِمُ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أصابَ فَلَهُ أجْرانِ، وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أخْطَأَ فَلَهُ أجْرٌ» رواه البخاري.

أليسَ مِنَ الغريبِ أَنْ تتوقَّفَ أعذارُنَا لأهْلِ العلمِ والدعْوَةِ والإصلاح؟

واللهِ إنَّك لتتعَجَّبُ مِنْ طالبِ علمٍ بمجرَّدِ أنْ يرَى ذلكَ الشيخَ أَوْ ذلكَ الداعِيَةَ قَدْ وقَعَ فِي مسألَةٍ اجتهادِيَّةٍ، وإذْ بصاحِبِنَا يتكَلَّمُ عليهِ فِي المجالسِ وربمَا حذَّرَ منْهُ، وقد يُلصِقُ بِهِ تهمَةَ التبديعِ أَوِ الفِسْقِ، يَا ترى لمَاذا لَمْ يلتَمِسْ لَهُ العذْرَ؟

لماذَا لَمْ يقلْ لعَلَّ ذلكَ الداعيةَ أَوْ طالِبَ العلْمِ لمْ يصِلْ لَهُ الدليلُ؟

أو لعَلَّهُ لم يفهَمِ الدليل؟

أو لعَلَّهُ لمْ يَصِحَّ عندَهُ الدليل، وغيرُهَا مِنَ الأعذَارِ التي ذكرَهَا شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى.

باختصَارٍ، يا طالبَ العلمِ ستكونُ لَكَ اجتهادَاتٌ فِي مسيرَتِكَ العلميَّةِ وسوفَ تخالِفُ بعضَ زملائِكَ أو شيوخِكَ، وحينَهَا سوفَ تتَمَنَّى أَنْ يلتمِسُوا لَكَ العُذْرَ وأنْ تبقَى محبَّتُكَ فِي قلوبِهِمْ رغْمَ اختلافِكَ معَهُمْ.

فلتكنْ كذلكَ أنتَ مِنَ الآن مَعَ الشيوخِ والدعاةِ وطلابِ العلم.

إنَّ التمَاسَ العذرِ للشيخِ لا يعنِي قبولَكَ لرأيِهِ، فنحنُ لا نلزِمُكَ بذلكَ، بلْ يمكنُكَ النقاشُ معَهُ أو الرَّدُّ عليهِ، مَعَ الالتزَامِ بأدَبِ العلْمِ، فنَاقِشِ الرأيَ والفكرَةَ والمسألَةَ، بدونِ أَنْ تطعَنَ فِي صاحِبِهَا.

ولـوْ تأمَّلْـتَ فِي حيـاةِ العلمَـاءِ علَى مـرَّ العُصُورِ لوجدتَ الاختِلَافَ بينَهُمْ مبسوطٌ فِي الكتُبِ، ولكنَّ أخلاقَهُـمْ كانَتْ ظَاهِـرَةً فِـي الأدَبِ والمحبَّةِ وعدَمِ التفـرُّقِ بسـبَبِ الخِـلافِ، وهكـذَا ينبغِـي أَنْ يكونَ طَالِبُ العِلْمِ.

ومِـنْ جميلِ القصـصِ فِي هـذَا البَـابِ أنَّ الإمَامَ الشافِعِيَّ اختَلَفَ مَعَ أحَدِ أصحابِهِ فِي بعضِ المسائِلِ، فلمَّـا انتهَى المجلِسُ أخَذَ الشـافِعِيُّ بيـدِهِ وقالَ: ألا يستقيمُ أنْ نكونَ إخوانـًا وإنْ لَمْ نتفِقْ فِي المَسْأَلة؟

❋❋❋

أدوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ

فِي مسيرَتِكَ العلميَّةِ يجبُ أنْ تُجاهِدَ نفسَكَ علَى الاستمرَارِ فِي طريقِ العلمِ عبرَ قاعِدَةِ «أدوَمُهُ وإنْ قَلَّ» وهذهِ الكلِمَةُ هِيَ جزءٌ مِنْ حديثٍ نبوي.

قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيُّ الأعمَالِ أحَبُّ إلَى اللهِ؟ قالَ: أَدْوَمُها وإنْ قَلَّ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

بلْ كانَتِ المداوَمَةُ منهجًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّه قيلَ لهَا: «هلْ كانَ رسُولُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يخُصُّ مِنَ الأيَّامِ شيئًا؟ قالَتْ: لَا، كانَ عمَلُهُ دِيمَةً». رواهُ البخاري.

وطالِـبُ العلمِ يجبُ أنْ يُرَكِّزَ علَـى مبدأِ المداوَمَةِ علَى العِلْمِ، وهنَا ومضَاتٌ:

١ - احـذَرِ الحمَـاسَ الزائـدَ الذِي يجعَلُـكَ تفقِدُ التوازُنَ فِي طلبِ العلْمِ، لأنَّ ضرَرَهُ أكبرُ مِنْ نفعِهِ.

٢ - المداوَمَـةُ تعنِـي أنْ يكونَ لَكَ فِـي كلِّ يومٍ أو فِي كلِّ أسـبوعٍ برنَامـجٌ علمِيٌّ فِي الحفْـظِ أوِ القراءَةِ أوِ السَّـمَاعِ أَوْ حضُورِ مجَالِسِ العلمِ، ولَا يُشْتَرَطُ أَنْ يكُونَ الوقْتُ كثيراً لهَذَا البرنامَجِ، بلْ يكفيكَ سـاعَةٌ أَوْ سـاعتانِ فِي اليومِ أو ساعَاتٌ محددَةٌ فِي الأسبُوعِ، ولكـنْ بِشَـرْطِ أَنْ تكـونَ سـاعةً مُركزَةً ومبنيَّـةً علَى برنَامجٍ تأصيلِيٍّ مناسِبٍ لَكَ.

٣- إذا حصَلَ لكَ انشِـغالٌ أوْ مرَضٌ أو سفَرٌ فلابُدَّ أنْ تُعَوِّضَ تلكَ السـاعَاتِ التِي فاتَتْكَ حتَّى تدرِكَ مَا فاتَكَ مِنَ العلْمِ فِي ذَلِكَ الوقْتِ.

يا طَالِبَ العلم، لَوْ نظَرْتَ فِي حَيَاةِ العُلَماءِ السَّابِقينَ والمُعَاصِرِينَ لرأَيْتَ العَجَبَ فِي علمِهِمْ ومؤلفَاتِهِمْ، فهَـلْ تَظُنُّ أَنَّ هذَا العِلمَ جاءَ فِي سَـنَةٍ أو حتَّى عشـرِ سنَوَاتٍ؟ بالطبْعِ لَا.

إنَّ هـذَا العِلْمَ وهـذهِ المؤلفَاتِ حصيلةٌ لعشـرَاتِ السـنينَ التِي كانُوا فيهَا علَى قاعِـدَةِ «أَدْوَمُهُ وإنْ قَلَّ» ولهَذَا رأَيْنَا العجائِبَ فِي مسـيرَتِهِمُ العلميَّةِ وتراثِهِمُ الذِي تركُوه.

وقـدْ رأينَا مشـايخَنَا كابْـنِ بازٍ وابـنِ عثيمينَ وابنِ جبريـنَ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كيفَ كانَتْ دروسُـهُمْ علـى نحْوٍ مِنْ خمسِـينَ سـنَةً، بدونِ انقطَـاعٍ إلا فِي أحوالٍ يسـيرَةٍ كالسـفَرِ أوِ المـرَضِ، وكيـفَ كانَتْ هـذه المداوَمَةُ سـبَبًا بَعْـدَ فضـلِ اللهِ فِـي تخريـجِ مئَـاتِ الطلابِ، وتسجيلِ آلافِ الساعَاتِ الصوتيةِ التي بقيَتْ فائدَتُهَا إلى الآن، بَلْ تَمَّ تفريغُ تلكَ الدرُوسِ إلَى كتُبٍ وإلَى مقاطِعَ كثيرَةٍ، وكلُّ ذلكَ تحقَّقَ لَهُمْ وللأمَّةِ عبرَ قاعِدَةِ المداوَمَةِ ولو علَى القليلِ.

باختصَارٍ، ينبغِي علَى طالبِ العِلمِ أنْ يجَاهِدَ نفسَهُ علَى الاستمرَارِ فِي التَّعَلُّمِ، وأنْ يحذَرَ مِنَ الانقطَاعِ أوِ الفوضَى فِي المنهجِيَّةِ العِلْمِيَّةِ.

الحاجَةُ إلى الصّدِيقِ في طَلَبِ العِلْمِ

فِـي طريقِ العلـمِ لابُدَّ لـكَ مِنْ صديقٍ يشـاركُكَ الهمَّةَ فِي التعلُّمِ والحفظِ والسـفرِ والمذاكَرَةِ، وكُتُبُ السلفِ مليئَةٌ بقصَصِ العلَمَاءِ التي تؤكدُ هذا الأمرَ.

لأنَّ الطالِبَ يتأثَّرُ بهمَّةِ صديقِهِ وأخلاقِهِ وطموحاتِهِ وفهمِهِ وحِفظِهِ وأدَبِهِ.

وأمَّا التفـرُّدُ في طريقِ العلـمِ فالغَالِـبُ أنَّ صاحبَهُ ينقطِعُ أوْ يفتُرُ، والقصصُ كثيرَةٌ فِي ذلك.

فابحَثْ يا طالِبَ العلمِ عنْ صديقٍ يشارِكُكَ محبَّةَ العلـمِ، ثمَّ ضـعْ جـدولاً معَهُ في حفـظِ المُتُـونِ، أو جلَساتٍ لمذاكَرَةِ العلمِ فِي كلِّ أسبوعٍ مرَّةً أو مرتين،

وسافِرَا سـويـًا لملاقاةِ العلماءِ، وسوفَ ترى أنَّ هذا الصديقَ مِنْ أكبرِ الأسـبابِ التي تعينُكَ علَى الثبَاتِ علَى العِلْمِ بإذْنِ اللهِ تعَالَى.

❋❋❋

الأخلاقُ في حياةِ أهْلِ العِلْمِ

مـنَ الغريبِ فِي حيَاةِ السـلَفِ، أنهُمْ كانُوا يهتَمُّونَ بالنظَـرِ لأخلاقِ العلمَاءِ والاسـتفادَةِ منهَا، حتَّى إنَّهُمْ ربمـا حضَـرُوا للـدروسِ لأجْلِ ذلـكَ فقطْ، مَـعَ مَا سيحصُلونَ عليهِ مِنَ العِلْمِ، ولكَ أَنْ تتَأَمَّلَ معِي هذهِ الأخبار.

١. عـنْ إبراهيمَ قالَ: كانُوا إذَا أتَوُا الرجُلَ ليأخُذُوا عنْـهُ نظَرُوا إلَى صلاتِهِ وإلى سَـمْتِهِ وإلَى هيئَتِهِ ثُمَّ يأخذُونَ عنْهُ.

٢. عَنِ الأعمَشِ قالَ: كانُوا يتعلَّمُونَ مِنَ الفقيهِ كُلَّ شيءٍ حتى لباسَهُ ونعليهِ.

٣. قيلَ لابنِ المُبَارَكِ: أينَ تريدُ؟ قالَ: إلَى البصرَةِ، فقيلَ لَهُ مَنْ بَقِي؟ فقالَ: ابنُ عَوْنٍ آخذٌ مِنْ أخْلَاقِهِ، آخِذٌ مِنْ آدَابِهِ.

٤. قالَ عبدُ الرحمنِ بنُ مهدي: كنَّا نأتِي الرجلَ مَا نريدُ علمَهُ ليسَ إلا أنْ نتعلمَ مِنْ هديِهِ وسمْتِهِ.

٥. كانَ عليُّ بْنُ المدِينِيِّ وغيرُ واحدٍ يحضُرونَ عندَ يحيى بْنِ سعيدٍ القطان ما يريدونَ أنْ يسمعُوا شيئًا إلا أنْ ينظُروا إلى هدْيِهِ وسمْتِه.

وبعدَ ذلكَ يمكنُ أنْ نقولَ:

١. إنَّ العلمَاءَ كانُوا أصحابَ أخلاقٍ ظاهِرَةٍ ولَمْ يقتصِرُوا علَى مُجَرَّدِ تحصِيلِ العِلْمِ.

٢. إنَّ مجالسَ العلماءِ قديمًا كانَتْ مدرَسَةً فِي الأخلاقِ، حتَّى إنَّ الواحِدَ يحرِصُ علَى الحضُورِ لأجلِ الاقتدَاءِ بهؤلاءِ العلمَاءِ المتميزينَ بأخلاقِهِمْ.

٣. فِي زمنِنَا لابُدَّ أَنْ يتربَّى طالِبُ العلمِ علَى حُسنِ الخُلُقِ ولا تَكُنْ همتُهُ مقتصرة علَى الحفظِ والفهْمِ واقتنَاءِ الكتُبِ وغيرِها مِنْ وسائِلِ العلْمِ، لأَنَّ طالبَ العلمِ المتميزَ بحسْنِ الخُلُقِ سيؤثِّرُ في المجتَمَعِ الذي يختَلِطُ بِهِ، سواءً كانُوا أهلَهُ أو أصحَابَهُ أو عامَّةَ الناسِ الذينَ يشاهدُهُمْ فِي المساجِدِ أوِ المجَالِسِ ونحوِ ذَلِكَ.

نسألُ اللهَ أَنْ يجعَلَنَا مِمَّنْ تعلّمَ العلْمَ وعمِلَ بِهِ.

الهِمَّةُ العالِيَةُ في العِلْمِ

إنَّ أعظَـمَ الصفـاتِ التِي ينبغِي علَـى طالِبِ العلمِ التخلُّقُ بهَا والسـعيُ إلَى اكتسـابِهَا هِيَ: علُـوُّ الهِمَّةِ، ولَـوْ نظَرْتَ إلَى حيَاةِ السـلَفِ وكيـفَ كانَتْ همتُهُمْ فِي طَلَبِ العلْمِ لرأيْتَ العَجَبَ.

وهِمَّةُ السلفِ تنوعَّتْ فِي بابِ العِلْمِ وإليكَ بَعْضُ العناوينِ العامَّةِ لتِلْكَ الهِمَّةِ:

١. همتُهُمْ فِي الإخلَاصِ فِي طَلَبِ العلْمِ.

٢. الهِمَّةُ فِي الرحْلَةِ لأجْلِ العِلْمِ.

٣. الهِمَّةُ فِي الإنْفَاقِ لأجْلِ العِلْمِ.

٤. الهِمَّةُ فِي الصَّبْرِ علَى طلبِ العِلمِ.

٥. الهمّةُ في الحفْظ.

٦. الهمَّةُ في المحافَظَةِ علَى الوقْت.

٧. الهمَّةُ في ملازَمَةِ العُلَماء.

٨. الهمَّةُ في العمَلِ بالعِلْم.

فَيَا طالِبَ العِلْمِ جدِّدْ نيتَكَ، وابذُلْ جهدَكَ، واهجُرِ الراحَـةَ لتحْصُلَ علَى الراحَةِ، واترُكِ الوسـادَةَ لتنَالَ السعَادَةَ.

ومـنْ يتهيَّـبْ صعُـودَ الجبَـالِ

يـعِـشْ أبَـدَ الـدهْـرِ بـيْـنَ الحُفَر

❋❋❋

طالبُ العلمِ وثقافةُ الواقِعِ

إنَّ الواقعَ المعَاصِرَ يمُرُّ ببعْضِ الأزمَاتِ والمُتَغَيِّرَاتِ، ولا بُـدَّ لطالِبِ العلمِ أنْ يكونَ علَى اطلاعٍ بِمَا يجري في واقِعِه، والنَّاسُ فِي هذَا الأمْرِ علَى طرفيْنِ ووَسَط.

فأمَّـا الطرَفُ الأولُ: فَهُـوَ الذِي يبتَعِدُ عَـنِ الواقِعِ ويعتِـزَلُ الناسَ ببدنِـهِ أو بقلبِهِ، فَهُوَ مشـغولٌ بالعلمِ وحفظِهِ والنظَرِ في الكتُبِ ومجالسَةِ العلمَاءِ.

ولكنَّهُ لا يدري مَاذا يجْرِي في العَالَمِ الإسلامِيِّ ولا يعْلَمُ ماذَا يحدُثُ في واقِعِ الناسِ، ولا يعْرِفُ مشاكِلَ الناسِ وهمومَهُمْ، ولا شَـكَّ أَنَّ هذا النـوعَ مِنْ طلبَةِ العلْمِ علَى خطَأ.

وأمَّا الطرَفُ الثاني: فهُوَ ذلكَ الحريصُ علَى العِلْمِ ولكنَّـهُ بدَأَ ينظُـرُ فِي القنـواتِ الفضائيَّـةِ، والمواقِعِ الإخباريَّةِ، بحجَّةِ الاهتمَامِ بالوَاقِعِ.

ولكنَّـه بَدَأَ يُفَرِّطُ في طلـبِ العلم، فأصبَحَ يتثاقَلُ عنِ القِـراءَةِ وقدْ كانَ منْ أهلِهَا، وأصبَحَ لا يحضُرُ مجالِسَ العلمِ إلا قليلاً، وإذَا عاتبْتَهُ فِي ذلك قَالَ لَكَ: لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الواقِعِ، وهذا النوعُ مِنَ الطلابِ على خطَأٍ أيضـاً.

وأمَّـا النوعُ الثالثُ وهُـوَ خيرُهُمْ والوسَـطُ بينَهُمْ، فَهُوَ الذِي أخَذَ بالتَّوَازُنِ بينَ العنَايَةِ بطلَبِ العلمِ وبينَ العنايَةِ بفقْهِ الواقِعِ، فهُوَ جادٌّ وصادِقٌ فِي طلبِ العلمِ ويُضرَبُ بِهِ المثَلُ فِي علُوِّ الهمَّةِ فِي طلبِ العلمِ، وفِي نفسِ الوقـتِ لَهُ اهتمَامٌ بفقْهِ الواقِعِ والنظَرِ في أحوَالِ الناسِ وأخبَارِ المسلمين.

طالبُ العلمِ والقُرْآن

إنَّ الفَـرَحَ ليأخُذُ بِي كُلَّ مأْخَـذٍ عندما أرَى الوفُودَ مِنَ الشـبَابِ قَدْ أقبَلَتْ على طلَـبِ العلمِ لكيْ ينهَلُوا مِن معِينِ العلمِ الصافي.

وفي خِضّـمِّ هـذا التنافُسِ علَى طلَـبِ العلم تلحَظُ أمراً بَدَأَ ينتشِرُ بَيْنَ بعضِ الطلابِ ألَا وَهُوَ الغَفْلَةُ عَنِ القرآنِ الكريم.

وفِي نظْرَةٍ إلَى علمَاءِ السلَفِ نَجِدُ أنَّهُمْ حققوا مَبْدَأَ التوازُنِ.

فهـذا الإمَامُ أحمَدُ الذِي يحفَـظُ مئَاتِ الأحاديثِ، وَمَعَ ذلكَ فَهُوَ يختِمُ القرآنَ كُلَّ أسـبُوعٍ، وهكَذَا كَانَ كثيرٌ مِنَ العُلَماءِ.

يـا طالبَ العِلم، إِنَّ القرآنَ أَسَـاسُ العلمِ، وطريقٌ للبَرَكَـةِ فيـهِ، وَهُوَ المصـدرُ الأَوَّلُ فِي الاستدلالِ، والاهتِمَامُ بِهِ يجْنِي عشراتِ الفوائِدِ لَكَ في مسيرَتِكَ العلمِيَّةِ.

❋❋❋

طالِبُ العلمِ واللِّسَان

لا شَكَّ أنَّ نعمَةَ اللسَانِ مِنْ أَجَلِّ النعَمِ، قالَ تعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [سورة البلد: الآيات ٨-٩] ولا يشْعُرُ بنعمَةِ اللسَانِ وأهميتِهَا إلا مَنْ فَقَدَ النُّطْقَ بهَا.

ولقدْ تواتَرَتِ النصوصُ بوجُوبِ المحافَظَةِ علَى اللسانِ وضبطِهِ، هذَا لعامَّةِ الناسِ فكيفَ بطلابِ العلمِ، لا ريبَ أنَّ الواجِبَ عليهِمْ أعظَمُ، لأنَّهُ كلمَا زَادَ علمُكَ فلا بُدَّ أَنْ يزيدَ عمَلُكَ ويشتَدَّ خوفُكَ.

وإنَّ المتَأَمِّلَ لحالِ بعضِ طلابِ العلمِ لَيَرَى بعضَ الآفَاتِ الدخيلَةِ التِي لا تليقُ بمسْلِمٍ فضلاً عَنْ طالِبِ العلْمِ.

تـأمّلْ مَا وَرَدَ عَنِ السلَفِ فِي شأنِ الكَلَامِ:

١. **قالَ أحدُهُمْ:** مَا سمِعْتُ وكيعـًا ذَكَرَ أحَدًا بسوء.

٢. **قالَ البُخَـارِيُّ:** مَا اغتبْتُ أحَدَاً مُنْـذُ علِمْتُ أَنَّ الغيبةَ حَرام.

يا طالِبَ العلمِ أمسِكْ عليكَ لسانَكَ وليسعْكَ بيتُكَ وابْكِ علَى خطيئَتِكَ، وجاهِدْ نفسَـكَ علَى أَنْ تضْبِطَ لسـانَكَ مِـنَ الوقُـوعِ فِي الآفَـاتِ كالغيبـةِ والكذِبِ والسـخرِيَةِ والهَـزْلِ والمزَاحِ - المذمُـومِ -، واعْلَمْ رَعَاكَ اللهُ أنَّ العلْمَ الحقيقِيَّ هُوَ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُهُ عليكَ، وأمَّا حِفْظُ القرآنِ والمُتونِ فلا تنفَعُكَ إِنْ كانَ لسَانُكَ بخلافِ هذا.

وفي الحديثِ الصحِيحِ «مَنْ يضمَنُ لِي مَا بينَ لَحْيَيْهِ ومَا بينَ رجلَيهِ أضمَنْ لهُ الجَنَّة» رواه البخاري.

❋❋❋

العنايةُ بفقْهِ المنَاسَبَاتِ

يا طَالِبَ العلْمِ ستَمُرُّ بِكَ أوقَاتٌ وأحوالٌ مختلفَةٌ لا بُدَّ أَنْ تكونَ فقيهًا في التعَامُلِ معَهَا، بصيراً فيمَا وَرَدَ فيهَا مِنْ نصوصٍ ومسائِلَ، وإليكَ هذهِ الأمثِلَةُ:

حينَمَا يأتِي مَوْسِمُ رمضَانَ، لابُدَّ أنْ تكونَ فقيهًا فِي أحكَامِهِ ومسائِلِهِ وآدابِهِ ومَا يتعلَّقُ بِهِ، وذلكَ بالاستعدَادِ قبلَ دخولِ الشهرِ بالاطِّلَاعِ علَى الكُتُبِ ومراجعَةِ مَا كتَبَهُ العلمَاءُ حوْلَ هَذَا الشهر.

وقلْ مِثْلَ ذلكَ فِي موْسِمِ الحَجِّ، وبدايَةِ الإجَازَةِ، وغيرِهَا مِنَ المَواسِمِ المتكرِّرَة.

وهنَـاكَ أحـوالٌ أخـرَى، مثـلَ التفَقُّهِ فِـي أحكامِ المريـضِ ومسـائِلِهِ حينَمَا تنوي زيـارَةَ المريضِ، أوْ عندَمَا يكونُ أَحَدُ أفرادِ أسرَتِكَ مصابـًا بالمَرَضِ.

وعندَمَا تريدُ السَـفَرَ، فينبغِـي لَكَ أَنْ تنظُرَ في كلامِ أهلِ العلْمِ في أحكَامِ السفَرِ ومسائِلِه.

وعنْدَمَـا تنـوِي الزوَاجَ فلابُـدَّ أَنْ تقْرَأَ عَـنِ الزوَاجِ ومسـائِلِه والطَّـلاقِ وأحكامِه، لتكونَ علَـى علْمٍ بمَا أنْـتَ قـادِمٌ عليْـهِ، حتَّـى تتجنَّـبَ الأخطَـاءَ والبِدَعَ والمخَالَفَاتِ التِي قَدْ تواجِهُكَ فِي هَذَا الطرِيقِ.

وعندَمَـا تكونُ زوجَتُكَ حامِلاً، فمَا أجمَلَ أَنْ تقْرَأَ عَنْ أحكَامِ المولُودِ وتسـميتِهِ، ومسائِلِ العقيقَةِ حتَّى تتعَـرَّفَ علَـى الأحـكَامِ والآدَابِ التِي سـتواجِهُكَ حينَمَا يرزُقُكَ اللهُ بالمولودِ إنْ شاءَ اللهُ.

فيا مَنْ سلكَ طَريقَ العلمِ كن فقيهًا فِي الأحوالِ والمناسبَاتِ بصيراً في مسَائِلِهَا متجنبًا للبِدَعِ والمخَالَفَاتِ، ومِمَّا يُؤَكِّدُ ذلكَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ يسْأَلونَكَ فِي مثلِ تلْكَ المواسِمِ والأحوالِ، فكيفَ تجيبُهُمْ إِذَا كانَتْ حصيلتُكَ العلمِيَّةُ ضئيلَة؟

❋❋❋

بينَ الثقَافَةِ والتأصِيلِ العِلْمِيِّ

في زحمَـةِ اليقظَـةِ العلمِيَّةِ فِي واقعِنَا قَـدْ نغْفُلُ عنِ التأصِيلِ العلمِيِّ وننطَلِقُ نحْوَ الثقَافَةِ العلمِيَّةِ.

وعندَمَـا تتأمَّلُ بعيـنِ الإنصَافِ تـرى جمُوعـًا مِنَ الشبَابِ قَدْ أقبَلُوا علَى البرامِجِ العلمِيَّةِ، مَعَ أَنَّ بعضَهُمْ قَدْ لا تناسِبُهُ؛ لمخَالَفَتِهَا لحقيقَةِ التأصِيلِ العلمِيِّ لَهُ، فقَدْ تنَاسِبُ غَيْرَهُ أمَّا هُوَ فَلا.

وترَى آخرِينَ يـزورُونَ المكتبَاتِ لشـرَاءِ الكُتُبِ، واقتنَاءِ المُجَلَّدَاتِ، ويالَيتَ هَذَا الحِرْصَ مبنِيٌّ علَى قاعِدَةِ التأصِيلِ.

والـذِي أعتَقِـدُهُ أنَّ الهـدفَ هُـوَ مجـرَّدُ القـراءَةِ والثقافَـةِ العلميَّـةِ أَوِ التقليـدُ لبعضِ الشـيوخِ الذينَ لديهِمْ عشرَاتُ الكتُبِ.

وأيضـًا في زيارَةِ المواقِـعِ العلميَّةِ علَـى الإنتَرْنت تتعجَّبُ مِنْ كثْرَةِ الوقْتِ الذِي يُقضَى علَى الإنترنت، على حسـابِ التأصِيلِ العلْمِي، مَـعَ أنَّ الزائِرَ لهَا لَنْ يُعْدَمَ الفائِدَةَ، ولكنَّهَا ثقَافَةٌ علمية.

وانظُـرْ للإقبَالِ علَى مواقِعِ التواصُـلِ تَجِدِ الإدمَانَ العجيبَ ولكنْ بـدونِ النظرِ إلـى مطابَقَتِهَا للتأصِيلِ العلمِـيِّ في غالِـبِ الأوقَاتِ، وإنَّمَا مُجَرَّدُ اسـتمتَاعٍ؛ أيْ: مجرَّدُ ثقَافَةٍ.

والأمثلَـةُ التِي تؤكِّـدُ غيابَ التأصِيـلِ العلْمِيِّ عندَ البعضِ مِـنْ محبِي العِلْمِ كثيرَةٌ، ولذَلِـكَ لا تَرَى بَعْدَ مُـدَّةٍ طالبَ علـمٍ متينَ العلْمِ، واسِـعَ الاطلاعِ، قويَّ التأصِيلِ، وإنمَا تَجِدُ بعضَ الطلابِ المثقَّفِين.

فيَا مَنْ سـلَكَ مَسْـلَكَ التعليمِ والتدرِيسِ، احرِصْ عَلَـى تأصِيلِ العلْمِ فِـي نفوسِ طلابِـكَ، وليتعَوَّدُوا مِنْكَ ذلك، ويَا مَنْ سـلَكَ طريقَ العِلْمِ: الزَمِ الجَادَّةَ، وسِـرْ علَى نَهْجِ السـلَفِ، واحْذَرْ ثقَافَـةً لا تُخَرِّجُكَ عالِمـًا.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ بينَ الحُكْمِ الفقهِيِّ والإرْشَادِ التربَوِي

مِنْ خلالِ زيارَتِي لبعْضِ طلابِ العلْمِ وجَدْتُ أَنَّ بعضَهُمْ يحْسِنُ المسأَلَةَ الفقهِيَّةَ التِي يُسْأَلُ عنهَا، ولكِنَّهُ لا يُحْسِنُ أيَّ توجِيهٍ تربَوِيٍّ حولَ تلكَ المسْأَلَةِ، وحتَّى تتضِحَ الفكْرَةُ، فهنَا أمثلة:

المثَالُ الأوَّلُ:

قدْ يتحَدَّثُ الشيخُ عَنِ الزوَاجِ ويسرِدُ الأقوالَ والأدِلَّةَ فِي مشروعِيَّتِهِ ثم يتكلمُ عَنِ الخِطْبَةِ والنظرِ للمخطُوبَةِ وغيرِهَا مِنْ مسائِلِ الخِطْبَةِ والزوَاج.

ولكـنَّ الذي يُحزِنُكَ أنَّ هذَا الشـيخَ لَـمْ يأتِ بأَيِّ توجيهٍ تربَوِيٍّ خلالَ كلامِهِ عَنْ تلكَ المسَـائِلِ، وكأَنَّهُ لا يعْرِفُ كيفَ يُرْشِدُ الأبَ لاختيَارِ الزوجِ المنَاسِبِ لابنَتِهِ ولَمْ يتحَدَّثْ عَنْ قَوَاعِدِ اختيارِ الزوْجَةِ.

وفي تصَوُّرِي كانَ الأَوْلَى أَنْ يسْلُكَ الشيخُ منهَجًا فقهيًا للمَسَائِلِ التِي يرغَبُ فيها ثُمَّ يذكُرُ أهَمَّ القضايَا التربَوِيَّةِ التي تُحيطُ بتلكَ المَسَائِلِ.

المثَالُ الثاني:

حينَمَا تتحَدَّثُ عَنِ الصلاةِ وشروطِهَا وأركانِهَا، مِنَ الجميلِ أَنْ تَذْكُرَ قصصًا عَنْ عنَايَةِ السـلَفِ بِهَا وشيئًا مِنَ القصَصِ الواقِعِيَّةِ، وكيفَ تُحبِّبُ ابنَكَ في الصلاةِ وغيرَها مِنَ الإرشـادَاتِ التِي تنْفَعُ عامَّـةَ النَّاسِ، بلْ ويشعُرونَ أنَّهُمْ فِي أَمَسِّ الحَاجَةِ لهَا.

المثَالُ الثَالِثُ:

عنْـدَ الكلامِ عَـنِ الطلاقِ وأحكامِـهِ، لا تغفلْ أيهَا الشَّـيْخُ عَنْ ذكرِ أسـبَابِهِ وبعضِ أضرارِهِ وشـيءٍ مِنَ الحلُولِ العمَلِيَّةِ قبْلَ اتخَاذِ قرارِ الطَّلَاقِ.

وقدْ يقولُ البعضُ: أنَا لَسْتُ مطالَبًا بِأنْ أكونَ مفتيـًا ومُرشِداً تربويـًا فِي كلِّ مَسْأَلة.

فأقُولُ: نعَـمْ صدَقْتَ، ولكنْ تأَكَّدْ أنَّ سـعَةَ الأفُقِ عندَكَ وحُسْـنَ إجابَتِكَ العلمِيَّةِ معَ شيءٍ مِنَ التوجِيهِ التربَوِيِّ سيقَعُ فِي قلبِ المستَمِعِ بشَكْلٍ جميلٍ.

وقـدْ ذكَرَ بعـضُ العلمَاءِ أَنَّ مِـنْ آدابِ المُفْتِي أَنْ يكـونَ عالِمًـا بأحـوَالِ الناسِ، ويدخُلُ فِـي ذلكَ أَنْ يكونَ عالمـًا بأحوالهِم الاجتماعيةِ وأسبَابِ جهلِهِمْ وشـيءٍ مِنْ مشـكلاتِهِمْ، ثُمَّ يُعالِجُ تلكَ المشكِلاتِ بشـيءٍ مِـنَ الـكلامِ التربَوِيِّ المؤسَّـسِ علَـى العِلْمِ الشرْعِيِّ، ومَنْ تعَوَّدَ علَى ذلِكَ سيجدُ أنَّ الأمْرَ سهلٌ بإذْنِ الله.

❋❋❋

الإكمَالُ العلمِيُّ أَوِ الدعوي

في صفـوفِ بَعْضِ طلابِ العِلْمِ تجِـدُ الهمَّةَ العاليَةَ فِي طَلَبِ المزيدِ مِنَ العلمِ كالحفْظِ والقراءَةِ والسمَاعِ وحضُـورِ مجَالِـسِ العلمَـاءِ، وتَجِدُ البعضَ يسـعَى لإكمَالِ الدراسَـاتِ العُلْيَا، وكلمَا انتَهَـى مِنْ مَرْحَلَةٍ تاقَتْ نفسُهُ لِمَا بعدَهَا، وكُلُّ ذلِكَ جميلٌ بِلَا شك.

ولكـنَّ الذِي يُحْزِنُـكَ أَنَّكَ لَا تَجِـدُ لبَعْضِ هؤلاءِ أيَّ مشـارَكَةٍ دعويةٍ، لا فِي مسـجِدِهِ ولا بينَ جمَاعتِهِ ولا فِـي مواقِـعِ التواصُلِ، ويـردِّدُ عبَارَةَ أنَا مشـغولٌ بالعِلْمِ والبُحُوثِ والجامِعَةِ وغيرُهَا مِنَ الأعذَارِ التِي نسـمَعُهَا أحيانـًا وقـد نقرأُهَا علَى صفَحَـاتِ الوجْهِ أحيانـًا.

إنَّ كلَّ طالِـب علْمٍ يعلَـمُ أنَّ الدعوةَ إلى اللهِ عمَلٌ جليلٌ، وهِيَ واجِبَةٌ عندَ قلةِ العلمِ وانتشَـارِ الجهْلِ، والدعـوَةُ لَهَـا أثَرُهَـا فِي تعليـمِ النَّاسِ وإرشـادِهِم وتصحِيـحِ عقائِدِهِـمْ وعباداتِهِـمْ وأعمَالِهِـمْ وأفكارِهِمْ.

وهـذَا الغيابُ عَنِ الدعوَةِ بحجَّةِ الانشـغَالِ بالعِلْمِ والدراسَـاتِ العليَا ليـسَ بعُذْرٍ علَى الإطـلاقِ، ونبينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «بلِّغُوا عنِّي ولو آية». رواه البخاري.

والنصوصُ فِي الحَـثِّ عَلَى الدعوَةِ لا تخفَى علَى أبْسَطِ طالبِ عِلْمٍ، ولكنْ أيْنَ العَمَلُ؟

إنَّ تكميـلَ النفْسِ بالعلمِ شـيءٌ جميلٌ، والأجمَلُ أَنْ تسـعَى لتكميـلِ غيرِكَ بـهِ وأَنْ تصبِـرَ علَى ذلِكَ،

وهَذَا مَا قَرَّرَهُ العلمَاءُ فِي تفسِيرِ سورَةِ العصْرِ في قولِهِ تعَالَى ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: آية ٣].

قالَ ابنُ القَيِّم: فإنَّ الكمَالَ أنْ يكونَ الشخْصُ كامِلًا فِي نفسِهِ، مُكمِّلًا لغيرِهِ، وكمَالُهُ بإصْلاحِ قُوَّتيْهِ العلمِيَّةِ والعَمَلِيَّـةِ، فصَـلَاحُ القُوَّةِ العلمِيَّـةِ بالإيمَانِ، وصلاحُ القوةِ العمليَّةِ بعَمَلِ الصالحَاتِ، وتكمِيلُهُ غيرَهُ بتعليمِهِ إيَّاهُ، وصبْرِهِ عليْهِ. مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٣)

يا طالِـبَ العِلْـمِ، إنَّ الميدَانَ فسـيحٌ ومتنوِّعٌ لأنْ تَضَـعَ فيـهَ بصمَتَكَ بالطريقَةِ المناسِـبَةِ لـكَ، فاغتَنِمْ فرصَةَ الحياةِ في أنْ تَضَعَ لَكَ برنامجًا دعويـًا ينفَعُكَ فِـي حياتِكَ وبَعْدَ مَوْتِكَ، فأنْـتَ لا تدرِي مَتَى تغَادِرُ الحيَاةَ.

وكمْ من طالِبِ علمٍ جَمَعَ الكُتُبَ وحازَ الشهادَاتِ العليا ولكنَّـهُ مَاتَ قَبْلَ أنْ ينْقُلَ علمَهُ للنَّاسِ فاختَفَى اسمُهُ بَعْدَ أيامٍ مِنْ مَوْتِهِ.

وفِـي الجانِـبِ المقابِلِ كَمْ مِـنْ طَالِبِ علمٍ نَشَـرَ علمَهُ فِي المجتَمَعِ فانتَفَعَ بِهِ المئَاتُ فِي الحياةِ وبَعْدَ الممَـاتِ، وانظُـرْ في سـيرَةِ بعـضِ العُلَماءِ كيـفَ أَنَّ علمَهَـمْ باقٍ إلَى الآن، ومَا ذَاكَ إلا لأَنَّهُمْ صدَقُوا مَعَ اللهِ فِي طلبِ العلمِ وفِي تعليمِهِ للنَّاسِ.

إنَّ تعليـمَ النَّـاسِ يمْـلأُ صحيفَـةَ عملِـكَ بمئَـاتِ الحسـنَاتِ التِي ستنفَعُكَ فِي حياتِكَ وفِي قبرِكَ ويومَ القيامَـةِ، وفي الحديثِ الصحيحِ «مَـنْ دَلَّ علَى هدى كانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلَ أجُورِ مَنْ تَبِعَهُ» رواه مسلم.

قال ابنُ القيمِ: مَنْ طلبَ العلمَ ليُحيىَ بِهِ الإسلامَ وأهلَهُ كانَ مِنَ الصدِّيقينَ، ودَرَجَتُهُ بَعْدَ درجَةِ النبوَّةِ.

مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٥)

طالِبُ العلْمِ ومقَدِّمَاتُ العُلومِ

مِنَ المهِمِّ لطالبِ العِلْمِ فِي بدايَةِ الطريقِ أَنْ يتعَرَّفَ علَى مداخِلِ العُلُومِ والمقدمَاتِ فيهَا حتَّى تتكَوَّنَ لديهِ معرِفَةٌ عامَّةٌ بِهَا، ومثَالُ ذلكَ: مُقَدِّمَةٌ في العقيدَةِ، مقدمَةٌ فِي نشْأَةِ الفقْهِ الإسلامِيِّ، مقدمَةٌ فِي التفسِيرِ، مقدمَةٌ في اللغَةِ العربِيَّةِ، وهكذَا فِي مصطلَحِ الحديثِ وأصولِ الفقْهِ والتاريخِ الإسلامِيّ.

وطريقُ المعرِفَةِ بهذِهِ المقدمَاتِ أَنْ يحضُرَ مجالِسَ العلمِ لِكُلِّ شيخٍ فِي الفَنِّ الذي يتقِنُهُ، أو يسمَعَ الدروسَ العلميَّةَ في مقدماتِ تلكَ العلومِ، وربما كانَ السَمَاعُ في زمانِنَا أسهَلَ بسبَبِ كثرَةِ الشواغِلِ، ونُدْرَةِ الدروسِ العلميَّةِ في المساجِد.

وهـذهِ الدراسَـةُ تتطَلَّبُ قـدراً مِنَ الفَهْـم والضبطِ والحِفظِ لمهمَّاتِ تلكَ المقدمَاتِ حتَى تفيدَ الطالِبَ وتوّسِعَ مدارِكَهُ لمعرِفَةِ تلكَ العلوم.

إنَّ مِـنَ المتَقَرِّرِ فِي طريقِ العلْمِ أنَّـهُ لا يليقُ بطالِبِ العلم أنْ تَجْرِيَ سنواتُ عمرِهِ وهُوَ متعمِّقٌ في نَوْعٍ معينٍ مِنَ العِلْمِ كالعقيدَةِ مثلاً وهُوَ يجهَلُ أبسَطَ المعلومَاتِ عَنْ مصطلحِ الحديثِ أَوْ علومِ السيرَةِ والتاريخ.

والطالِـبُ الذكِـيُّ يسـتطيعُ أنْ يجمَـعَ بيـنَ تلـكَ المقدمَـاتِ فِي فتـرَةٍ وجيزَةٍ ثمَّ بعْدَ ذلـكَ ينطَلِقُ للعلمِ الذي يحِبُّهُ وتميلُ نفسُهُ إليهِ ليتعَمَّقَ فيهِ ويتخصصَ فيهِ بالقدْرِ الذي يراهُ مناسبـاً لَهُ ومؤثّراً فِي خدمَةِ المُجْتَمع.

❋❋❋

الرحْمَةُ عنْدَ طالِبِ العلم

مِنْ أعظَمِ الصفَاتِ الجميلَةِ التِي ينبغِي علَى طالِبِ العلْـمِ أَنْ يتَّصِفَ بهَا فِـي تعليمِهِ للنَّـاسِ «الرحمَةُ»، والقـدوةُ في ذلك نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قالَ اللهُ عنهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية ١٠٧].

وهنَا بعضُ التطبيقَاتِ:

أولاً: الرحمَـةُ بالمتعلمِينَ وعدمُ القسـوةِ عليهِمْ؛

لأنَّهُمْ بحاجَةٍ إلَى علمِكَ، ولكنهُمْ لن يسـتفيدُوا مِنْ علمِـكَ إلا إذَا كُنتَ رحيمـًا بهِـمْ، ولهَذَا قالَ اللهُ لنبيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٥٩].

وبالتجربَـةِ فإنَّ الناسَ يشـعرُونَ مِنْ خِلَالِ كلمتِكَ أو خطبَتِـكَ أنَّكَ تنظُرُ إليهِمْ من مِنْظَارِ الرحمَةِ أَوْ مِنْ مِنْظَارِ القسوَةِ، وهذَا يظهَرُ مِنْ خِلَالِ انتقاءِ الكلمَاتِ ذاتِ الطابعِ الجميلِ الهادِئِ الذي يشعرُونَ مِنْ خِلَالِهِ أنكَ تفتَحُ لهم بَابَ الأَمَلِ في اللهِ وفِي التغييرِ للأفضَلِ وليسَ اليأسَ أوِ التشاؤُم.

ثانيـًا: الرحمَةُ بصاحِبِ الخَطَأ، فإذَا رأيْتَ شخصـًا علَـى معصِيَةٍ، فقبْلَ أنْ تنصَحَه لابُدَّ أن تكونَ رحيمـًا بِه، لأَنَّ الرحمَةَ تجعلُكَ تنصَحُه بلطْفٍ.

❋❋❋

كِلانَا علَى خير

في المُجْتَمَعِ العلمِيِّ تظهَرُ فكرةٌ عِنْدَ بعضِ الفُضَلاءِ مِمَّنْ فَتَحَ اللهُ عليهِمْ في أبوابٍ أخرَى منَ الخيرِ كالمشتغِلِينَ بالعِبَادَةِ أوِ العَمَلِ الخيرِيِّ أَوِ الدعوة إلى اللهِ، وهِيَ أَنَّ الأفضَلَ لأهلِ العِلْمِ أنْ يقَلِّدُوهُمْ فيمَا هُمْ فيهِ مِنَ الأعمَالِ ويترُكُوا العِلْمَ أوْ يُخَفِّفُوا مِنْ طلبِهِ، وهذَا التفكيرُ وُجِدَ عندَ بعضِ السلَفِ، وتأمَّلْ هذِهِ القِصَّةَ:

رويَ أنّ عبدَ اللهِ العمريَّ العابِدَ، كتَبَ إلَى الإمَامِ مالِكٍ يحضُّهُ علَى الانفرَادِ والعمَلِ، فكتَبَ إليهِ مالِكٌ: إنَّ اللهَ قسَمَ الأعمَالَ كمَا قَسَّمَ الأرزَاقَ، فرُبَّ رجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، ولَمْ يُفتَح لَهُ فِي الصومِ، وآخَرَ

فُتِـحَ لَهُ في الصدقَـةِ، ولَمْ يُفتَحْ لَهُ فِـي الصوْمِ، وآخرَ فُتِـحَ لهُ فِـي الجهَادِ، فنَشْـرُ العِلْمِ مِنْ أفضَـلِ أعمَالِ البِـر، وقدْ رضِيتُ بِمَا فُتِحَ لِي فيهِ، ومَا أظُنُّ مَا أنَا فيهِ بِدُونِ مَا أنْتَ فيـهِ، وأرْجُو أَنْ يكونَ كِلانَا علَى خير.

السير ٨/ ١١٤

ومعنَـى القِصَّةِ باختصَـارٍ، أَنَّ هذَا الرجُـلَ العابِدَ أرْسَـلَ للإمَامِ مالِكٍ وهُوَ المعـروفُ بعلْمِهِ وتعليمِهِ للنَّـاسِ فِي المدينَـةِ النبوِيَّـةِ، أنْ يترُكَ ذلـك ويتفرَّغَ للعبـادةِ، فأرسَـلَ لـه مالِـكٌ بـأَنَّ اللهَ قَسَّـمَ الأعمَالَ كمَـا قَسَّـمَ الأرزَاقَ وأنَّـهُ قدْ يكـونُ اللهُ فَتـحَ لَكَ في العبَـادَةِ ولكنَّهُ قَدْ فَتَحَ لِي فِـي العِلْمِ والتعلِيمِ وكِلانَا علَـى خيْـرٍ وفَضْـلٍ، بِـدُونِ أَنْ ينتَقِصَ أحَـدٌ الآخَرَ، وهذا المفهـومُ يجِـبُ أَنْ يُدْرِكَهُ الفُضَـلاءُ عمومـًا،

وألَّا يشْـعُرَ أيُّ واحِدٍ مُشتغِلٍ بالخيرِ أنَّهُ الأفضَلُ مِنْ غيـرِهِ، وأنْ يتَأَكَّدَ أَنَّ غيرَهُ علَى خيرٍ، وأنّ المسـلمينَ بحاجَـةٍ إلَى جميـعِ التخصصاتِ الأخـرَى، كالعِلْمِ والدَّعْوَةِ والإغَاثَةِ وغيرِهَا.

وتأمَّـلْ في أدَبِ الإمَامِ مالِـكٍ وحكمَتِهِ في الجوابِ حتَّى تُـدرِكَ أَنَّ العِلْمَ يجبُ أنْ يظْهَرَ على صاحبِهِ في اختِيَارِ الأجْوِبَةِ التي يُخاطِبُ بِهَا الناسَ.

❋❋❋

التقوى يَا طَالِبَ العِلْمِ

إنَّ أجمَلَ صفَةٍ تناسِبُكَ فِي مشوارِكَ العلمِيِّ تقوى اللهِ.

تلكَ الوصيَةُ الربَّانِيَّةُ، إنَّهَا وصيةُ اللهِ لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب: آية ١]، وَهِيَ وصيةُ اللهِ للأولينَ والآخِرينَ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: آية ١٣١].

فأُوصِيكَ بِأَنْ تُلَازِمَ التقوَى فِي كلِّ حيَاتِكَ، فعليكَ بالتقوَى فِي القِيَامِ بمَا أَوْجَبَ اللهُ عليكَ مِنَ الفرَائِضِ، ثُمَّ جاهِدْ نفْسَكَ علَى أَنْ تَرْتَقِيَ إِلَى القيامِ بالنَّوَافِلِ، ثم استمِرّ حتى تصِلَ إِلَى المَرَاتِبِ العالِيَةِ فِي العبَادَةِ كالورَعِ واليقِينِ والرِّضَا.

يـا طالِبَ العلـم، إنَّ مِنْ دلائِلِ التقـوَى، البعْدُ عن الذنُوب ومقدمَاتِهَا والحذَرُ منْ أسـبَابِهَا، إنَّ الذنُوبَ أصْـلُ كُلِّ بلاءٍ وَهِـيَ مفتَاحُ الشـرورِ وعواقِبُهَا علَى نفْسِكَ وعلَى العلْمِ الذِي تحْمِلُ لا تُحْصَى.

قالَ ابْنُ مسعودٍ: إنِّي لأحسَبُ الرجُلَ ينْسَى العِلْمَ بالخطيئَةِ يعمَلُهَا.

وقالَ وكيعٌ: استعينُوا علَى الحِفْظِ بترْكِ المعَاصِي.

وقالَ الإمَامُ مالكٌ للشـافِعِي: إنِّي أرَى اللهَ قَدْ ألقَى علَى قلبِكَ نوراً فلَا تطفِئْهُ بظلَمَةِ المعصِيَةِ.

واللهِ إنَّ المَـرْءَ ليتعَجَّـب إذَا رأَى بعـضَ الذيـنَ ينتسِـبُونَ إلَى العِلْمِ وهُمْ يمارِسُونَ بَعْضَ المعَاصِي، كالتَّسَـاهُلِ في النَّظَرِ إلى الحَرَامِ، ومنْهُمْ مَنْ يتَسَاهَلُ في الغيبَةِ، ومنهُمْ مَنْ وَقَعَ فِي عقُوقِ الوالِدَينِ.

أينَ العِلْمُ الذِي قرأتمُوه وحفظِتْمُوه؟

إنَّنَا نتفِقُ سويـًا علَى أنَّ طالِبَ العلم ليسَ بمعصُوم، ولكنَّنَـا نؤكِّـدُ أَنَّ على طالِبِ العلمِ أَنْ يُجاهِدَ نفسَـهُ علَـى ألَّا يَقَعَ فِـي المعَاصِي، وخَاصَّـةً الكبائِرَ، وإذَا وَقَعَ فِي الذنْبِ فيجِبُ أَنْ يبَادِرَ للتَوْبَةِ والاستِغْفَارِ.

❋❋❋

طالِبُ العلمِ وضبْطُ القوَاعِد

إنَّ مِـنَ الضروريَّـاتِ لَكَ يَـا طَالِبَ العلـمِ العنَايَةَ بـضبْـطِ القوَاعِـدِ والضوابِـطِ التـي تَمُـرُّ عليـكَ فِي مشوارِكَ العلمِيِّ، سواءً كانتْ هَذِهِ الضوابِطُ مقروءَةً أو مسمُوعَةً.

وقدِ اعتنَى العلمَاءُ بالتأكيـدِ علَى ذلِكَ فِي كتُبِهِم، وَمِـنَ العلمَاءِ الذينَ أكدُوا عَلَى ذلِـكَ العَلَّامَة الفقيهُ محمـدُ بنُ عثيميـنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولَقَدْ قرأتُ لهُ وسـمعْتُهُ عدَّةَ مراتٍ وهوَ يؤكدُ على ضرورَةِ العنَايَةِ بذَلِكَ.

يـا طالِبَ العلـمِ، إنَّ العلمَ كثيرٌ، وبحرٌ لا سـاحِلَ لهُ، ولكنَّكَ عندمَا تحرِصُ علَى الضوابِطِ والقَواعِدِ، فإنَّكَ تجمَعُ فِي ذهنِكَ الكثيرَ مِنَ المسائِلِ الفرعيَّةِ.

وتـأمَّل هذهِ الأمثِلَةَ:

١. عندمَـا تضبـطُ القاعِدَةَ فِـي طهَارَةِ الميـاهِ وهيَ أَنَّ الأصـلَ أَنَّ المَاءَ طهـورٌ إلا إذَا تغَيَّرَ لونُهُ أو طعمُهُ أو رائِحَتُهُ بشـيءٍ نجِسٍ، فسـوْفَ تفهَمُ جميعَ المسائِلِ التي تمُرُّ عليكَ فِي بَابِ طهَارَةِ المَاءِ وسوْفَ تسـتطِيعُ الإجَابَةَ عَلَى أيِّ سؤالٍ فِي هذَا الباب.

٢. عندَمَا تضبِطُ قاعِدةَ الأصلِ في العبَادَاتِ التوقِيفُ، وتعلَـمُ أنَّهَا تَدُلُّ علَى تحريمِ إحداثِ أيِّ عبادَةٍ إلا مَا وَرَدَ في الشرعِ إثبَاتُهُ، فإنَّكَ ستضبِطُ كثيرًا منْ مسائِلِ البدَعِ فِي العبَادَاتِ.

يـا طَالِـبَ العلْم، احـرِصْ علَـى ضبْـطِ القوَاعِدِ، واكتُبْهَـا، واجمَعْهَا، واحفَظْهَا، وناقِشْ طُلَّابَ العلمِ فيهَا، وتعَوَّدْ علَى ضربِ الأمْثِلَةِ، وسترَى خيراً كثيراً إِنْ شاءَ اللهُ تعَالَى.

❋❋❋

طالِبُ العِلمِ والمَال

إنَّ مِـنْ أعظَـمِ الضروريَّاتِ لطَالِبِ العلمِ السـعيُ لتحصِيـلِ المَالِ؛ وذلِكَ لأنَّ طالِبَ العلمِ يحتَاجُ إلَى إعفافِ نفسِهِ عَنِ السؤالِ، وإلَى شرَاءِ الكتبِ والرحْلَةِ فِي طَلَبِ العِلمِ، وغيرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ التِي يحتَاجُهَا الطَّالِبُ فِي هذَا الزَّمَنِ.

ومِـنْ هنَـا أكَّدَ السـلفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لطَالِـبِ العلْمِ أنْ يعتَنِـيَ بالبَحْثِ عن الـرزْقِ الحَلالِ الـذي يغنِيهِ عَنِ النَّاسِ.

قالَ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيُّهَا النَّاسُ أصلِحُوا معايِشَـكُمْ فإنَّ فيهَا صلاحـًا لَكُمْ وصِلَةً لغيرِكُمْ.

وهذَا سعيدُ بنُ المسيّبِ يقولُ: لا خيرَ فيمَنْ لا يُرِيدُ جمْعَ المَالَ مِنْ حِلِّهِ، يكفُّ بِهِ وجهَهُ عَنِ الناسِ، ويصِلُ بِهِ رحِمَهُ، ويُعْطِي مِنْهُ حَقَّه.

قالَ الحسَنُ: ليسَ مِنْ حُبِّكَ الدنْيَا طلبُكَ مَا يصلِحُكَ فِيهَا.

واللهِ إنَّ المرءَ ليحزَنُ عندمَا يرَى بعضَ طلابِ العِلْمِ المحتَاجِينَ إلى المَالِ وَهُوَ لا يملِكُ أنْ يقَدِّمَ لهمْ شيئًا.

فالوَصِيَّةُ إلَى أحبتِي طلبَةِ العلْمِ، جاهِدُوا أنفُسَكُمْ فِي البحْثِ عَنِ الرزْقِ، وأيقِنُوا بِأَنَّ اللهَ هوَ الرزَاقُ وابذُلُوا السبَبَ، وسيأتِي الفرَجُ بإذْنِ اللهِ، ورَبُّنا يقولُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [سورة الطلاق: آية ٢].

وهنا إشارَاتٌ:

١. لابُدَّ للطَالِبِ أنْ يعتَنِيَ بدرَاسَـتِهِ التِي تُؤَهِّلُهُ فِي الغَالِبِ إلَى الوظِيفَةِ المناسِبَةِ لَهُ.

٢. إنَّ كَانَ طالِـبُ العلـمِ موظَّفـًا فليُحَافِـظْ علَى وظيفَتِهِ، لأَنَّهَا تعينُهُ بَعْدَ اللهِ علَى الرزْقِ الحَلَالِ.

٣. لابُـدَّ للعَلَمَـاءِ أَنْ يعتَنُـوا بالطُـلَابِ البارِزِيـنَ ويهيئُوا لَهُمُ المَالَ، وهكذَا كانَ العلمَاءُ.

٤. نأمَـلُ مِنْ بعضِ التجَارِ أنْ يسْـعَوا فِـي تأْمِينِ مَا يحتَاجُهُ الطُّلابِ مِنْ ضرورَاتِ الحيَاةِ، وخاصَّةً مَـنْ كانَ منهُـمْ متميِّـزاً، لأَنَّ طالِـبَ العلْمِ إذَا وَجَـدَ مَـنْ يُسَـاعِدُهُ فِـي ظروفِـهِ المَالِيَّـةِ فإِنَّهُ

يَشْـعُرُ بالاهتِمَامِ والرَّاحَةِ، وهذَا يؤهِّلُهُ للتعَلُّم والتعْليمِ وخاصَّةً فِي بَعْضِ البِلادِ الفَقِيرَةِ.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ والحَسَدِ

عندَمَا تنظُرُ إلَى واقعِ بعضِ طلابِ العِلْمِ ترَى كثيراً مِنَ الصفَاتِ الحسَنَةِ، مثلَ، المودَّةِ والإخَاءِ والتَنَاصُحِ.

ولكنَّكَ تتعجَّبُ مِنْ وجودِ بعضِ الآفَاتِ التِي دخَلَتْ علَى قلوبِ بعضِ الطلابِ مِثلَ آفَةِ الحَسَدِ، وهذِهِ الآفَةُ شَرٌّ لابُدَّ مِنَ السعيِ إلَى إزَالَتِهَا.

وقديمًا قيلَ: مَا خَلا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، ولكنَّ الكريمَ يخفِيهِ واللئيمَ يبديهِ.

وكلنَا يعلَمُ بحديثِ الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشيطَانَ أيسَ أَنْ يعبُدَهُ المصلونَ فِي جزيرَةِ العرَبِ ولكنْ فِي التحريشِ بينَهُمْ». رواه مسلم.

وهـذَا الحديثُ يبيـنُ أنَّ الشـيطَانَ حريـصٌ علَى إفسَـادِ القلوبِ وتعبئَتِهَا بالحَسَـدِ والحقْدِ وهذَا ليسَ بغريبٍ علَى الشيطَانِ الذِي قالَ اللهُ عنْهُ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر: آية ٦].

ولم يسـلمْ مِنْ داءِ الحَسَـدِ إلا القَليـلُ مِنَ الناسِ، والتارِيـخُ مليـءٌ بالحُسَّـادِ، حتَّى ظَهَرَ الحَسَـدُ علَى بعضِ العُلَمَاءِ والصالحِينَ.

وإليـكَ أيهَـا المتعَلِّـمُ بعضـًا مِـنْ صُوَرِ الحَسَـدِ الموجودَةِ بينَ بعضِ الطلابِ:

١. الحسـدُ لبعضِ المتميزيـنَ بالصَّوْتِ الحسَـنِ والتلاوَةِ الجَيِّدَةِ.

٢. الحسدُ للمتميزِينَ فِي حفْظِ المُتُونِ.

٣. الحسَـدُ على الطـلابِ الذيـنَ لَهُمْ مكانَـةٌ عِنْدَ العُلمَاء.

٤. الحسدُ علَى الطلابِ الأذكِيَاء.

٥. الحسَـدُ علَـى مَـنْ يشـتَهِرُ مِـنْ الطـلابِ عِنْـدَ المسؤُولين.

٦. الحسَـدُ علَى مَنْ عندَهُ حُبٌّ للقرَاءَةِ واسـتثمَارِ الوقْتِ.

والأمثِلَةُ كثيرةٌ لا تُحصَى.

فالواجـبُ علَى طالـبِ العلْمِ الصـادِقِ أَنْ يجَاهِدَ نفسَـهُ علَى تطهِيرِ قلبِـهِ مِنَ الحَسَـدِ والبغْضَاءِ، وهذَا الأمرُ يتمُّ بأمُورٍ مِنْهَا:

١. العِلْمُ واليقينُ باطلاعِ اللهِ تعالَى علَى مَا يدورُ فِي قلبِكَ.

٢. مجَاهَـدَةُ النفـسِ علَى تركِ الحَسَـدِ، قـالَ تَعَالَى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: آية ٦٩].

٣. الدعاءُ للشخْصِ الذِي تحْسُدُه.

٤. ادْعُ ربَّكَ أَنْ يُطَهِّرَ قلبَكَ ويصلِحَ سـريرَتَكَ مِنْ هَذِهِ الآفَاتِ.

❋❋❋

تعلَّقْ بالعِلْمِ لا بالعَالِمِ

لمَّا حضَـرَتِ الوفاةُ معـاذَ بنَ جبَلٍ، قَعَـدَ يزيدُ بْنُ عميرَةَ يبكِي عِنْدَ رأْسِهِ فقالَ معاذٌ: مَا يبكيكَ؟ فقالَ: أبكِـي لمَا فاتَنِي مِـنَ العِلْمِ، فقَالَ: العلْـمُ كمَا هو لَمْ يذهَـبُ، فاطلبْهُ عِنْدَ أربَعَةٍ فسـمَّاهُمْ، ومنهُمْ عبدُ اللهِ بنُ سلَام. السير ٢- ٤١٨

قلتُ: كلنَا يحـزَنُ ويبكِي لمـوتِ العلَمَاءِ، ولكنْ يجِـبُ أَنْ يكـونَ موتُهُمْ دافعـًا لنَا إلَى طلَـبِ العلْمِ وعدَمِ التوقُّفِ، ويجِبُ أنْ نعْلَمَ أَنَّ العِلْمَ باقٍ لأنَّ اللهَ قدْ تكفَّلَ بحفظِـهِ كمَا قالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: آية ٩].

والحمْـدُ للهِ علَى وجودِ بقيَّةٍ مِـنَ العلمَاءِ ونحمدُهُ كذلِـكَ علَى وجودِ الكتُبِ بينَنَا وغيرِهَا مِنَ الوسـائِلِ المعينَـةِ علَى تحصِيلِ العلمِ، فَمَـا بَقِيَ علينَا إلا بَذْلُ الهِمَّةِ والسيرُ في طريقِ الطَّلَبِ.

وهنَـاكَ أمْـرٌ آخـرُ يغفلُ عنهُ بعـضُ الطـلابِ وهُوَ أَنَّ الواحِدَ مِنَّا قَدْ يكونُ في قلبِهِ تعلُّقٌ ببعْضِ العلمَاءِ وَهُوَ لا يَشْعُرُ فإذَا مَات العَالِمُ توقَّفَ هَذَا عن طلبِ العِلْمِ، وكأنَّ الخيرَ زَالَ عَنْ هذهِ الأُمَّةِ، وهذا بلا شَكٍّ خطَأٌ كبير.

وهـذَا التعَلُّـقُ مذمـومٌ وهُـوَ مـرضٌ مِـنْ أمراضِ القلـوبِ، قالَ تعالَـى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: آية ١٤٤].

نعم لقَدْ ارتـدَّ بعضُ مَنْ آمَنَ لَمَّا تُوفِّيَ رسـولُ اللهِ ﷺ، لقَدْ انكشَفَ الإيمَانُ في نفُوسِ الضعفَاءِ، فلمَاذَا يا تُرَى وقَعَ ذلِكَ؟

إنهُ التعلُّقُ بالشخصِ لا بالمنهَجِ، وانظُرْ إلى موقِفِ أبـي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا ماتَ الرسـولُ ﷺ ثبتَ كالجَبَلِ ومَا نَقَصَ إيمانُهُ ولا تغيرَتْ مبادِئُهُ.

وهكـذَا يَجِبُ أنْ يتربَّى المؤمـنُ فضلاً عَنْ طالبِ العلمِ والداعِيَةِ، أَنْ يتعلَّقَ بالدينِ لا بحَمَلَتِهِ، فالعلمَاءُ يموتُـونَ والدُعاةُ كذلكَ والمصلحُـونَ، ولكنْ تبقَى الدعوَةُ، ويبقَى العِلْمُ، ويبقَى المنهَجُ.

❋❋❋

هيبَةُ العُلَماءِ لا تمنَعُكَ مِنْ سؤَالِهِمْ

قالَ أيوبُ السختيانِي: لقَدْ جالَسْتُ الحَسَنَ أربَعَ سنينَ فمَا سألتُهُ هيبَةً له. الحلية ١١/ ٣.

قلتُ: وذلكَ لتعظيمِهِمْ لمكانَةِ العلمَاءِ وهيبَتِهِم، ولا شكَّ أَنَّ اللهَ قدْ وَهَبَ العلمَاءَ الربانيينَ هيبَةً وقدراً فِي نفوسِ الناسِ لأَنَّهُمْ حققوا الخشْيَةَ مِنَ اللهِ تعالَى، ولكن لا بُدَّ مِنَ التذكيرِ بِأَنَّ العلمَاءَ لهمْ قدرُهُمْ في قلوبِنَا ولكنْ يجبُ ألَّا يمنَعَنَا ذلكَ مِنْ سؤالِهِمْ والانتِفَاعِ بِهِمْ.

❋❋❋

مِنْ مواقِفِ السلَفِ في الحَذَرِ مِنَ الفَتْوَى

اعلَمْ أنَّ الإفتَاءَ مَقَامٌ كبيرٌ، وفيهِ مُخاطَرَةٌ كبيرَةٌ.

ولكنَّـهُ كثيرُ الفضْـلِ، لأنَّ المفْتِـيَ وارِثُ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسـلامُهُ عليهِمْ، وقائِمٌ بفرضِ الكِفَايَةِ، ولكنَّهُ مُعرَّضٌ للصوابِ والخَطَأِ، ولهَذَا قالُوا المُفْتِي مُوَقِّعٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

عنِ ابنِ المنْكَدِرِ قالَ: العَالِمُ بينَ اللهِ تعَالَى وخلقِهِ فلينْظُرْ كيفَ يدخُلُ بينَهُمْ.

ووَرَدَ عَـنِ السـلَفِ وفضَـلاءِ الخَلَفِ الكثيـرُ مِنَ المواقِفِ والأقوالِ فِي الحَذَرِ مِنَ الفُتْيَا.

عنْ عبدِ الرحمنِ ابنِ أبِي ليلَى قَالَ: أدركْتُ عشرينَ ومئَةً مِنَ الأنصَارِ من أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسأَلُ أحدُهُمْ عَنِ المسْأَلةِ فيردُّهَا هَذَا إلَى هَذَا وهذا إلَى هذا حتَّى تَرْجِعُ إلى الأوَّلِ.

وعنِ الشعْبِيِّ والحسنِ وأبِي حُصَيْنٍ قالُوا: إنَّ أحدَكُمْ ليفِتِي فِي المسْأَلَةِ ولو وردَتْ على عمر بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجَمَعَ لهَا أهْلَ بدر.

وعنِ ابْنِ عباسٍ ومحمَدٍ بنِ عجلانَ قالَا: إذَا أغفَلَ العَالِمُ لا أدرِي أصيبَت مقاتِلُهُ.

قالَ سفيانُ بن عيينَةَ: أجْسَرُ النَّاسِ على الفُتْيَا أقلُّهُمْ عِلْما.

وعنِ الشافِعِيِّ وقدْ سئِلَ عنْ مسألَةٍ فلَمْ يُجِبْ فقيلَ لَـهُ، فقالَ: حتَّى أدْرِيَ أنَّ الفضلَ فِي السكوتِ أَو في الجواب.

وعنِ الهيثَم بنِ جميلٍ قالَ: شهدْتُ مالِكًا سُئِلَ عَنْ ثمَانٍ وأربعِينَ مسَألَةً فقالَ فِي ثنتينِ وثلاثِينَ مِنْهَا لَا أدْرِي.

وعنْ مالِكٍ أيضا أنَّهُ ربمَا كانَ يُسأَلُ عنْ خمسِينَ مسألَةً فلا يجيبُ فِي واحِدَةٍ منهَا، وكانَ يقولُ: مَنْ أجابَ فِي مسألَةٍ فينبغِي قبْلَ الجوَابِ أَنْ يعرِضَ نفسَهُ علَى الجنّةِ والنارِ وكيفَ خلاصُهُ ثُمَّ يجيب.

وسئِلَ عَنْ مسألَةٍ فقَالَ: لا أدري. فقيلَ: هيَ مسألَةٌ خفيفَةٌ سهلَةٌ، فغَضِبَ وقالَ: ليسَ فِي العلمِ شَيْءٌ خفيفٌ.

قلتُ: ومَعَ هذهِ الآثَارِ عنْ سَلَفِنَا الصالِحِ إلا أنَّكَ تتعجَّبُ من بَعْضِ المتعالِمِينَ الصغَارِ، يحفَظُ الواحِدُ أجزاءً مِنَ القرآنِ أو بعضَ المتُونِ، وإذا بِهِ يتصدَّرُ في المجَالِسِ، ويُفتِي في المسائِلِ الكِبَارِ، ويخَطِّئُ العلمَاءَ، ويرُدُّ عليهِمْ، بلْ ومنهُمْ مَنْ يَسُبُّ العلمَاءَ فِي المَواقِعِ علَى الإنترنت، فَرُحمَاكَ يَا رب.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ والوقت

أجمَعَ كلُّ مَنْ دَخَلَ فِي طَلَبِ العِلْمِ أنَّ العنايَةَ بالوقتِ هِيَ الطريقُ الأعظمُ والبَابُ الواسِعُ الذِي يَلِجُ إليهِ طَالِبُ العلمِ الصادق.

والحديثُ عنِ الوقْتِ وأهميتِهِ ووسائِلِ نيلِهِ مطروقٌ فِي غيرِ هذَا الموضِعِ، وقدْ أشبَعَ العلمَاءُ كتبَهُمْ فِي الحديثِ عنهُ، ولكنِّي سأضع مقترَحَاتٍ وإشارَاتٍ تنفعُكَ بإذنِ اللهِ تعَالَى:

١. ارفعْ يديْكَ إلَى مولاكَ لِكَيْ يبارِكَ فِي وقتِكَ.

٢. معنَى حفْظِ الوقتِ هُوَ: استغلالُهُ فيمَا ينفَعُ فِي العَمَلِ المنَاسِبِ للوقتِ المناسِبِ، ومثَالُهُ:

* **في وقتِ الدرَاسَةِ النظامِيَّةِ**، لا يُنَاسِبُ أنْ تغيبَ عَنِ المدرَسَةِ لأجْلِ حفظِ المُتُونِ، أو مراجَعَةِ العِلْمِ.
* **في بيتِكَ وأنتَ مَعَ أسرَتِكَ** لا يُنَاسِبُ أَنْ تغيبَ عَنْهُمْ لكيْ تقْرَأَ، وتترُكَ والديْكَ أو زوجَتَكَ بِلا أنِيسٍ، إلا عندَ الاستئذَانِ منهُمْ ومُراعَاةِ الأحوال.
* **عندَ أوقَاتِ العبادَةِ الفاضِلَةِ؛ مثلَ الصلاةِ** فلَا يناسِبُ الانشغَالُ بالعِلْمِ، بلِ الأَوْلَى المبادَرَةُ إلَى الصلاةِ.
* **وفِي عصْرِ الجُمُعَةِ الأَوْلَى الإقبَالُ علَى الدعَاءِ وكثرَةُ الابتهَالِ إلَى اللهِ**؛ لأَنَّ ذلكَ هوَ أرجَى أوقَاتِ الإجَابَةِ كمَا دَلَّتِ النصُوصُ فِي سَاعَةِ الاستجَابَةِ التِي فِي يومِ الجُمُعَةِ.

* وفِـي آخِرِ الليلِ ووقتَ النزولِ الإلَهِيِّ ما أجمَلَ أنْ تكـونَ مِمَّـنْ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [سورة السجدة:١٦].

٣. تستطِيعُ الاستفَادَةَ مِنَ أوقاتِ الفَرَاغِ في عمَلِكَ، وفِي أوقَاتِ الانتظَار.

٤. وأنـتَ فِي بعضِ المَجَالِسِ قَدْ لا تستطِيعُ فِعْلَ شـيءٍ لتستَغِلَّ وقتَـكَ، ولكنَّـكَ تستطِيعُ أَنْ تستَغْفِر.

٥. اختَرِ العَمَلَ المناسِبَ للوقتِ المُنَاسِبِ، فمَثلاً لَا تَقْـرَأ الكتُـبَ المركّزَةَ والعميقَـةَ فِي أوقَاتِ غلَبَةِ النومِ أوْ أثنَاءِ الوظيفَةِ.

٦. **ابدَأْ بالأولويَّاتِ**، فلَا تتصفَّحْ كُتُبَ القصَصِ والمواعِظِ وأنتَ لَمْ تقرأْ فِي كتُبِ العقَائِدِ والعبَادَاتِ.

٧. **رَتِّبْ وقتَكَ** وخَصِّص ساعَاتٍ لتدوينِ الفوائِدِ وترتِيبِهَا.

٨. **لا بُدَّ مِنْ تخصيصِ بَعْضِ الأوقاتِ** للاستِمَاعِ للصوتيَّاتِ النَّافِعَةِ وتدوينِ اللطَائِفِ.

٩. **وأنْتَ فِي زحْمَةِ المطَالَعَةِ والقِرَاءَةِ** ستَمُرُّ عليكَ لحظَاتُ التعَبِ والنصَبِ، ولكنْ هذَا طريقُ العلمِ، والقاعِدَةُ: لا يُنَالُ العلْمُ براحَةِ الجسَدِ.

١٠. **إياكَ والكتُبَ الساذِجَةَ والباردَةَ**، وطالِعْ كتبَ السَّلَفِ الذينَ استنارُوا بنورِ الوَحْيِ.

١١. استَشِرْ قبلَ القراءَةِ، وليكُنْ مستشارُكَ ممَّنْ سارَ فِي قافِلَةِ العلمِ والعلمَاءِ، ليمنَحَكَ بعضَ التجاربِ التِي لنْ تجدَهَا فِي كتَاب.

١٢. لا بُدَّ منْ وقْتٍ لقضَاءِ حاجاتِ الإخْوانِ والوقوفِ إلَى جنْبِهِمْ، وليسَ هذَا مِنْ إضَاعَةِ الوقْتِ، بلْ هُوَ مِنْ فِقْهِ إدَارَةِ الوقْتِ.

١٣. اجعَلْ من يوْمِكَ وقتًا لشرَاءِ الأغراضِ ومستَلْزَماتِ البيتِ، وليكُنْ هذَا الوقْتُ هو الوقتُ الضائِعُ مِثْلَ وقتِ العودَةِ مِنَ الدَوَامِ.

١٤. صِلَةُ الرَّحِمِ واجبَةٌ وليسَتْ إضاعَةً للوقْتِ، بَلْ هِيَ ورَبِّي مِنَ الطُّرُقِ التِي نستَجْلِبُ بهَا البَرَكَةَ فِي الوقْتِ.

طالِبُ العلمِ والقَلَم

همَـا قرينَانِ لا ينفَـكَّانِ وينْتُـجُ عنهمَا نفـعٌ للأمَّةِ وإبقَاءٌ للميرَاثِ النبَوِي.

إنَّ القلَمَ لسانٌ ثانٍ لطالِبِ العلمِ، وكَمَا قيلَ: القَلَمُ أحَدُ اللسَانَيْن.

لذا وجَبَ علَـى طالِبِ العلمِ أَنْ يعتَنِـيَ بقلَمِهِ عبرَ هَذِهِ الإشَارَاتِ:

* الحِـرْصُ علَى اقتنَـاءِ القَلَمِ فِي جميـعِ مواطِنِ حياتِـكَ، فَهُـوَ فِي جيبِـكَ، وفي مكتَبِـكَ، وفِي حقيبَتِـكَ الخاصَّـةِ، وكلُّ هَـذَا لأجْـلِ العِلْـمِ وكتابَـةِ الفوائِـدِ وصيـدِ الخواطِـرِ، واقتنَاصِ الفُرَصِ والأفكَارِ التِي قَدْ تَرِدُ علَى عقلِكَ.

* إذَا كانَتْ نصوصُ الوحْيِ قَدْ راعَتْ جانِبَ العِلْمِ والتَعَلُّمِ والتعليمِ، فلا بقَاءَ لِكُلِّ ذلكَ إلا بالقَلَمِ الذِي يُسْهِمُ في تدوينِ العِلْمِ.

* طالِبُ العلمِ يقتَنِي القلمَ المنَاسِبَ لَهُ، السهلَ والواضِحَ فِي كتَابَتِه.

* لا بُدَّ مِنَ التدَرُّبِ على الكتابَةِ واستخدَامِ القلمِ دومًا وأبداً، وعدَمِ الملَلِ مِنَ الكتَابَةِ والبحْثِ، وكمَا قيلَ: لا يُستَطَاعُ العلْمُ براحَةِ الجَسَدِ.

قصّةٌ لطيفَة:

أحَدُ السلَفِ انكَسَر قلمُهُ فِي أحَدِ الدروسِ فصَاحَ: قَلمٌ بدينَارٍ، فتنَاثَرَتِ الأقلامُ بينَ يديهِ.

فانظُرْ لحرصِـهِ وانظُرْ لهمتِهِمْ، تركُوا القَلَمَ لأجْلِ دينَار.

وختَامًا، القَلَمُ بينَ يديكَ يَـا طالِبَ العلم، والأُمَّةُ تنتظِرُ دموعَـهُ وتترَقَّبُ حبْرَهُ فهَيَّا نحـوَ القلَمِ وضُمَّهُ إلى يدِكَ وقلْ: باسْـمِ اللهِ، وخذْ ورَقَةً ليضيءَ بياضُها بسَوادِ القَلَمِ.

❋❋❋

الجمعُ بينَ حفْظِ الحديثِ وفَهْمِه

يظـنُّ بعضُ طلابِ العلمِ أنَّ حفـظَ متونِ الحدِيثِ يكفِـي لأنْ يكـونَ الواحِـدُ منهُـمْ فقيهـًا، وهـذَا غيرُ صحيح.

بلْ لابُدَّ مِنْ دراسَـةِ فقـهِ الحديثِ ومعرِفَـةِ معنَاهُ، لأنَّ الحديـثَ لَـهُ معـانٍ يعرِفُهَـا أهـلُ العلـمِ، ولـهُ دلالاتٌ مختلِفَةٌ، كالوجُوبِ والاستحبَابِ والإبَاحَةِ والكراهَـةِ والتحريمِ، وقـدْ يكونُ عامًّـا أو خاصًّـا، وغيرُ ذَلِكَ مـنْ أدِلَّةِ الأحكَامِ، وحتَّـى يتضِحَ المرَادُ فلنتَأَمَّلْ هذهِ القِصَّةَ.

كانَ بعضُ رواةِ الحديثِ فِي مجلسِ الحديثِ، فدخَلَتِ امرأةٌ تسأَلُ عَنْ حكمِ تغسيلِ الحائِضِ للميتِ، فلمْ يعْرِفِ الرواةُ الإجَابَةَ مَعَ أَنَّهُمْ يحفَظُونَ مئاتِ الأحادِيثِ بأسانِيدِهَا، وقالُوا للمرْأَةِ: انتظِرِي حتَّى يأتِيَ الإمامُ الفقيهُ أَبُو ثَوْرٍ، فجاءَ أبو ثور وسألتْهُ المرأَةُ عَنْ حكمِ تغسيلِ الحائِضِ للمرأَةِ الميِّتَةِ؟ فقالَ: يَجُوزُ، والدليلُ حديثُ عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لهَا: «إِنَّ حيضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يدِكِ». رواه مسلم.

وبعدَ ذلكَ قامَ رواةُ الحديثِ الذينَ كانُوا فِي المجْلِسِ، وقالُوا نعَمْ هذَا الحدِيثُ رواهُ فلانٌ عَنْ فُلَانٍ، وذكرُوا عِدَّةَ أسانِيد.

فانظُرْ هنا كيفَ أنَّ الرواةَ لَمْ يعرِفُوا الحُكْمَ مِنَ الحديثِ مَعَ معرِفَتِهِمْ بطرقِ الحديثِ وأسانيدِهِ، وكيفَ عرَفَ الفقيهُ أبو ثورٍ الإجَابَةَ فِي لحظَةٍ، لأنَّهُ يعرِفُ كيفَ يستنبِطُ الحُكْمَ مِنَ الدليلِ.

وهنَا تنبيهَات:

١. حفْظُ الدليلِ مطْلُوبٌ لكَيْ تكُونَ النصُوصُ حاضِرَةً في ذهْنِ طالِبِ العِلْمِ.

٢. لابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ المعنَى مِنَ الدليلِ، وذَلِكَ مِنْ خلالِ شروحَاتِ الحدِيثِ والتربيةِ عِنْدَ شيخٍ يعلمُكَ أصولَ الاستنبَاطِ.

٣. قدْ نكونُ فِي زمنٍ قلَّتْ فيهِ دروسُ العلمَاءِ فِي المسَاجِدِ، ولكنْ ولله الحمْدُ توجَدُ مئَاتُ

الدروسِ فِـي الإنترنـت ويمكِنُكَ الاسـتفَادَةُ منهَا لتتعَرَّفَ علَى كثيرٍ مِنْ مسائِلِ العلْمِ.

٤. **إذا كنْـتَ تقـرَأُ آيةً أَوْ حديثًا ولَـمْ تفهَمِ المعْنَى،** فأوصيـكَ بِـأَنْ تبحَـثَ عـنِ المعنَى مباشَـرَةً، ويفيدُكَ فِي ذلِـكَ أَنْ تحمِّلَ التطبيقَاتِ النافِعَةَ فِي القرآنِ والحديـثِ فِي جوالِكَ لترجِعَ إليهَا حينَمَا تُشْكِلُ عليكَ المَسْأَلَة.

٥. **يفيدُكَ فِي الفهْمِ، قراءةُ الشروحِ علَى النصُوصِ،** وحضُـورِ مَجَالِـسِ العلـمِ التِـي تُشْـرَحُ فيهَـا النصُوصُ، ومعرِفُة اللغَةِ العربيَّةِ ودلالاتِهَا.

٦. **مِنَ الجيدِ أنْ يُدرِّبَ الشيخُ طلابَهُ** علَى استنْبَاطِ الفوائِدِ مِنَ النصِّ ثمَّ يصحِّحَ لَهُمْ.

٧. هنـاكَ كتُبٌ تناولَـتْ فوائِدَ النصـوصِ بالأرقَامِ وهذهِ لهَا أثَـرٌ كبيرٌ؛ مثل: ٢٠ فائدَةً مِنْ حديثِ كَذَا أَوْ مِنْ قِصَّةِ كَذَا.

٨. بَعْـضُ العلمَـاءِ يتفنَّـنُ فِـي الاسـتنبَاطِ ضِمْـنَ الشروحَاتِ، فمِنَ الجيِّدِ أنْ تكتُبَ تلكَ الفوائِدِ.

٩. أقتـرِحُ إيجَـادَ دورَاتٍ علميَّـةٍ تدريبيَّـةٍ في فهْـمِ النصُوصِ واستنبَاطِ المسائِلِ والفَوائِدِ منْهَا.

١٠. عندَمَا يتعَـوَّدُ الطَّالِـبُ علَى جودَةِ الفهـمِ ودقَّةِ الاسـتنبَاطِ فَإِنَّهُ سيحِبُّ العلمَ ويتلَذَّذُ بِهِ، وهذَا شَيْءٌ مُجَرَّبٌ.

١١ . رائعٌ أَنْ تستعِينَ بربِّكَ فِي الفَهْمِ، فاللهُ هُوَ الفتَّاحُ وسيفتَحُ لَكَ فِي الفهمِ فِي الشريعَةِ مَا لا يخطُرُ بالبَال.

١٢ . قالَ ابـنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصَحَّةُ الفهمِ نُورٌ يقذِفُهُ اللهُ فِـي قلـبِ العَبْدِ يمُدُّهُ تقوَى الرَّبِّ وحسـنُ القصْدِ.

ومضة:

عندَمَـا نتعَـوَّدُ علَى فهـمِ النصوصِ فسـوفَ نقْدِرُ على مواجَهَةِ أهلِ البدَعِ والفَسَـادِ؛ لأَنَّ النصَّ واحِدٌ، والفهمَ مختلِفٌ، ولذَا قالَ سفيانُ الثورِيُّ: يا أصحَابَ الحديثِ تعلمُوا فقْهَ الحدِيثِ لا يقهرْكُمْ أهلُ الرَّأْي.

ولعلَّ الناظِرَ في بعضِ المواقعِ يجدُ الجُرْأَةَ في فهمِ النَصِّ وتحريفِهِ إلى مَا يهوَاهُ الكاتِبُ ويحتَجُّ بِأَنَّ بَابَ الفَهْمِ في النَّصِّ مسمُوحٌ لكِلِّ أَحَدٍ حسبَ الطريقَةِ التِي تنَاسِبُ كلَّ قارِئٍ، وفِي هَذَا مِنَ الفَسَادِ العقدِيِّ والمنهَجِيِّ والسلوكِيِّ الشَّيْءُ الكبير.

لـذا وجَبَ علَـى حُرَّاسِ الشـريعَةِ حمايَـةُ النَصِّ، وحمايَـةُ الفهْمِ الصحِيـحِ المرادِ مِنْهُ، بحسـنِ البيَانِ والشرْحِ، والردِ علَى أهلِ الأهوَاءِ بالعِلْمِ والحكْمَةِ.

قصةٌ طريفَةٌ:

فِي حيَاةِ بَعْضِ رواةِ الحديثِ وبعضِ صِغَارِ الفقهَاءِ تَجِـدُ أنَّ بعضَهُمْ كانَ يعتَنِـي بالنَصِّ فقَطْ ويغفلُ عنْ فِقْهِ الحدِيثِ ومعنَاهُ.

وقَدْ أشارَ ابْنُ الجوزِيِّ إلَى أَنَّ بعضَ روَاةِ الحديثِ يجمَعُونَ النصوصَ سنينَ عديدَةً ولا يدرُونَ المعنَى، ونُقِلَ عَنْ بعضِهِمْ أَنَّهُ روَى حدِيثَ: (نهَى عَنِ الحِلَقِ قَبْلَ الجمعَةِ) بإسكانِ اللامِ (الحلْق)، فلم يحْلِقْ رأسَهُ قبلهَا أربعينَ سنَة، وجهِلَ أَنَّ المقصُودَ التَحَلُّقُ أي الجلوس في مجالسِ الذِّكر.

وقالَ: كانَ ابْنُ صاعدٍ كبيرَ القدرِ فِي المُحدِّثِينَ لكنَّهُ لمَّا قلَّتْ مخالطَتُهُ للفقهَاءِ كانَ لا يَفْهَمُ جوابَ فتوَى.

وجاءَتِ امرأَةٌ فسألَتْهُ: دجاجَةٌ سقطَتْ في بِئْرٍ فماتَتْ، فهلِ المَاءُ طاهِرٌ أو نَجِسٌ؟ فسألَهَا وقالَ: ويحَكِ، كيفَ سَقَطَتْ؟ قالَتْ: لَمْ تَكُنْ مغطَاةً.

فقـالَ: ألا غطيتِهَـا حتَّى لا يَقَعَ فيهَا شَـيْءٌ، فانتبَهَ أَحَدُ الجالِسِـينَ فَقَـالَ للمرأةِ: يا هَـذِهِ، إنْ كانَ المَاءُ تغيَّرَ فَهُوَ نَجِسٌ وإلَّا فَهُوَ طَاهِرٌ.

إنهَـا قِصَـصٌ تُؤَكِّـدُ أنَّ الجَهْلَ بِفِقْـهِ النَّصِّ يؤدِّي للخَطَأِ فِي الفَتْوَى.

❋❋❋

١١ تنبيهٌ حَوْلَ التعَصُّبِ للشيوخِ

لكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي واقِعِ عَامَّةِ النَّاسِ، أو لعَلَّكَ تُخَالِطُ بَعْضَ طُلَّابِ العلمِ، أَو لعَلَّكَ تجلِسُ مَعَ مجموعَةٍ مِنْ أصحَابِ الدعوَةِ، فإذَا بِكَ تقِفُ عَلَى مرضٍ دخَلَ علَى البعضِ مِمَّنْ تعلَّقُوا بالشيوخِ تعلُّقًا مذمومًا ومنَحُوهُمْ حبًّا لَا علَى المنهَجِ بَلْ علَى مقياسِ الهَوَى، فهَوى بِهِمْ.

وتأتِي الأحدَاثُ والوقَائِعُ لتظْهِرَ لَكَ علامَاتِ التعصُّبِ، فمنْهَا:

١. تقليدُهُمْ في أمورِهِمْ وآرائِهِمْ بِلَا نصٍّ معتَمَدٍ أو فَهْمٍ مقتَبَسٍ مِنْ نصوصِ الوحي، وهذَا التقلِيدُ قدْ يكونُ محمُوداً عنْدَ العامَّةِ لأنَّهُ لَا قدرَةَ لَهُمْ

علَـى البحْـثِ، ولكِنَّهُ مذمُـومٌ عِنْدَ مَـنْ يدرِكُ النَصَّ ولَهُ فسـحَةٌ ولوْ يسـيرَةٌ في الفَهْـمِ، فهَذَا مَالَـهُ وللتقْلِيـدِ؟ بلْ يَجِبُ أَنْ يتعَلَّـمَ أمورَ دينِهِ ليعبُدَ اللهَ بِمَا شَرَعَ لا بِمَا انتَشَرَ عَنِ الشيوخِ.

٢. وهـذَا المتعصِّبُ لَـهُ ميلٌ فِي الغُلُوِّ فِي الشـيخِ، ويدلُّ على ذلِكَ أَنَّهُ لو وقَعَ شيخُهُ فِي خطَأٍ ولَوْ عَنِ اجتهَـادٍ، وقَامَ أحدُ الغيورِينَ بالردِّ عليهِ أو حتَّى الحوارِ مَعَـهُ لعاتَبَهُ ذاكَ المتعصِّبُ قائِلاً: وَمَنْ أنْتَ حَتَّى تَرُدَّ على الشيخِ؟

٣. المُتَعَصِّبُ يقبَلُ رأيَ شيخِهِ ولَوْ خالَفَ الدليلَ، لأَنَّ الصَّـوَابَ مَا قالَهُ الشـيخُ، وأمَّـا النصُّ فلَهُ التأويلُ.

٤. المتعَصِّبُ لا يقْرَأُ إلا لشيخِهِ ولا يسمَعُ إلَّا لَهُ، ولا ينْشُرُ إلا فتاوِيه.

٥. لا يزالُ المتعَصِّبُ في جَهْلٍ دائِمْ، إذْ أنَّهُ ألْغَى عقْلَهُ، وارْتَدَى قلادَةَ الولاءِ للشيخِ فَقَطْ.

٦. المتعصِّبُ لا يَمْدَحُ أيَّ صوابٍ عنْدَ غيرِ شيخِهِ، بَلْ كلُّ صَوابٍ عندَ غيرِ شيخِهِ فإنَّ شيخَهُ قَدْ قَالَ بِهِ بالنَصِّ أو بالظَّنِّ أو فِي الغَالِبِ.

٧. المتعصِّبُ لو مَاتَ شيخُهُ فَإنَّ الأمَّةَ ستضيعُ، والفقْهُ قَدْ دُفِنَ، والساعَةُ قَدِ اقتربَتْ.

٨. المتعصِّبُ فَقَدَ التوازُنَ، وخَسِرَ العدلَ، وغابَ عنْهُ الإنصَافُ.

٩. **المتعَصِّبُ يوالِي مَنْ والَى شيخَهُ**، ومَنْ خالَفَ شيخَهُ فَلَهُ البغض في الله، على حدِّ زعمه.

١٠. **المتعصب امتلأ قلبه بالتعظيم للشيخ لا للمنهج**، ولهذا لو سقط الشيخ في زلة أو في تبديلٍ في المنهج فإن صاحبنا سيهوي وراءه، لأنه متعلق بالرمز لا بالمنهج.

١١. **ذاكَ المتعَصِّبُ يمْدَحُ شيخَهُ ومنهَجَهُ فِي المَجَالِسِ وَمَعَ كلِّ جالِسٍ**، وكأَنَّهُ المتحدِّثُ الرسمِيُّ عنْهُ، أو كأَنَّهُ يتقاضَى راتِبًا مِنْ شيخِهِ ليرفَعَ ذكرَهُ في المجَالِسِ، فمَا أَسْوَأَ الحُبَّ إذَا غلَا، وهَكَذَا يصْنَعُ الهوَى إذَا عَلا.

الشيخُ بينَ التدريسِ والتصنيفِ

رأيتُ كثيرًا مِنْ أهلِ العلْمِ ممَّنْ أمضَى وقتهُ فِي العِلْمِ والتعلِيمِ قَدْ أغفَلُوا جانبًا مهمًا ألا وَهُوَ «التصنِيفُ».

ويحتَـجُّ هؤلاءِ بِأَنَّ الـدروسَ والتحْضِيرَ لهَا تأخُذُ وقتـًا، فضلاً عَـنِ الارتبَاطَـاتِ الأسـرِيَّةِ والوظيفيَّةِ الأخْرَى.

وقدْ أوافِقُهُمْ علَى وجودِ مِثْلِ هَذِهِ الأعذَارِ، ولكنِّي أقُـولُ: لابُدَّ مِنْ مجاوَزَةِ ذلِكَ، والانطلاقِ لمشـروعِ التصنِيـفِ، ولَوْ عَلَـى تدرُّجٍ وتمهّـلٍ؛ لأنَّ الدروسَ الصوتِيَّـةَ وَالكلمَـاتِ والمحاضَرَاتِ تذهَبُ سـريعًا مِنَ الوجودِ، ولكنَّ الكتَابَ يبْقَى لفتْرَةٍ طويلَةٍ.

والكتَـابُ يُقْرَأ فِي أيِّ مَكَانٍ، ولا يسـبِّبُ إزعاجًا، ويمكنُـكَ الاسـتفَادَةُ مِنْـهُ في مكتبِكَ، وفِـي أوقَاتِ الانتظَارِ وفِي الطائِرَةِ.

والكتَابُ المعدُّ إعدادًا جيدًا يسْهِمُ في إثْرَاءِ المكتبَةِ الإسلامِيَّةِ.

فيا أيهَا الشـيخُ الكريـمُ يجِبُ أَنْ تولِـيَ التصنيفَ عنايَةً ورعايَةً، وهذِهِ بعضُ المقتَرَحات:

١. إذَا كانَتْ لَكَ دروسٌ مستمِرَّةٌ أو زيارَاتٌ دعويةٌ أو لقاءَاتٌ فِي القنَوَاتِ؛ فاجْعَلْ منْ أيامِكَ أياماً للتصنِيفِ.

٢. إذَا كانَتْ دروسُـكَ فيهَا الإعدادُ الجيدُ؛ فكَلِّفْ أحَـدَ طلابِكَ بالتسـجِيلِ، ثـمَّ بالتفْرِيغِ، ثم قم

بمراجَعَتِها بعدَ ذلكَ، وبهذِهِ الطريقَةِ تختصِرُ كثيرًا مِنَ الوقت، وإنْ كانَ بعضُ المراجَعَةِ فيهِ نَوْعُ مَشَقَّةٍ.

٣. **إنْ كنتَ تثِقُ ببعضِ طلابِكَ الذينَ يعرفُونَ منهجَكَ، ولهمْ فترَةٌ طويلَةٌ معَكَ؛** فبالإمْكَانِ تفويضُهُ فِي إخراجِ كتبِكَ بدونِ أَنْ تراجِعَهَا، كمَا هو منهَجُ بعضِ العُلَماءِ الكبَارِ.

٤. **اعلمْ أيُّها الشيخُ الفاضِلُ أنَّك ستواجِهُ طلبَاتٍ عديدَةً مِنَ النَّاسِ؛** فهذا يريدُ كلِمَةً، وآخرُ يريدُ لقاءً، وثالثٌ يريدُ زيارَةً في مدينَةٍ أخرى، فوصيتِي لَكَ لا يأخذْكَ الحبُّ للنفعِ المتعَدِّي إلَى إهمَالِ «التصنِيفِ».

ومضَة:

لوْ أنَّ العلمَاءَ السابقينَ أهمَلُوا التصنيفَ واشتغَلُوا بالدرُوسِ المباشِرَةِ لطلابِهِمْ، فَمِنْ أينَ لنَا بهذَا التراثِ الكبيرِ؟

❋❋❋

كيفَ تكتُبُ الفوائدَ العلميّة؟

في مسيرَتِكَ العلميةِ وأثناءَ قراءَتِكَ فِي الكُتُبِ، لا بُدَّ أنْ تَمُرَّ بِكَ بَعْضُ الفوائدِ العلميَّةِ، ولكنَّ المُلاحَظَ أنَّ هناكَ زهْدًا منقطِعَ النظِيرِ عـنْ كِتَابَةِ الفوائِدِ، ويرجِعُ هَذَا إِلَى أمورٍ منها:

١. عَدمُ المعرِفةِ بالطُرقِ الجيدَةِ في الكِتَابَةِ.

٢. عدمُ التدرُّبِ علَى فَنِّ انتقَاءِ الفَوَائِدِ.

٣. عدمُ طـرْحِ الموضُوعِ والحديثِ عنْهُ حتَّى عَلَى مستوى كبَارِ أهْلِ العِلْمِ والمتخصصِينَ.

٤. عدَمُ تربيَةِ طلابِ العِلْمِ علَى هذا الفَنِّ.

٥. ضَعْفُ الهِمَّةِ.

٦. عدمُ القناعَةِ بضرورَةِ كتابَةِ الفوائِدِ.

وهنا سـأضَعُ لَكَ بعضَ التجاربِ فِي كيفِيَّةِ الكتَابَةِ والانتِقَاءِ والتدوينِ:

* قبلَ قراءَتِكَ لكتابِكَ المقصودِ لا بُدَّ مِنْ تحديدِ مشارِيعَ تريدُهَا مِنْ خلالِ تدوينِكَ الفَوَائِدِ.

مثال: تريدُ القِرَاءَةَ فِي كتَابِ «الجوابِ الكافِي» لابـنِ القيمِ، فهنَا لَا بدَّ مِنَ اسـتعْرِاضِ الكتَابِ كامِـلاً بنظْـرَةٍ سـريعَةٍ ليكُـونَ بعدَهَـا تحديدُ المشـاريعِ، ويمكِـنُ أنْ تكـونَ المشـارِيعُ مِنْ كتابِ «الجوابِ الكافي» مَا يلي:

- ذِكْرُ آدَابِ الدعاءِ باختصَار.
- ذكرُ القصَصِ المعبِّرَةِ.
- ذكرُ عواقِبِ الذنُوبِ إجمَالاً.

* تدوينُ الكلمَاتِ ذاتِ الدلالَةِ القويَّةِ منَ الكتَابِ بشرطِ أنْ تكُونَ نحْوَ سطرٍ أو أقَل.

توضيح:

* يمكنُ أنْ تكونَ كتابة الفوائِدِ مباشَـرَةً عندَ قراءَةِ الفائِـدَةِ، ويمكـنُ أن تؤخِّرَهَا حتـى تنتهِيَ مِنَ الكتَـابِ كامـلاً ثم تعُـودَ إلى عناويـنِ الفوائِدِ التِي تريدُ كتابتَهَا.
* هنـاكَ فـرقٌ بينَ تدويـنِ الفوائِدِ وبيـنَ اختصَارِ الكتَابِ، والكلامُ هُنَا عنْ تدوينِ الفوائِدِ.
* بعضُ طلابِ العلمِ يكتـبُ الفوائِدَ علَى غلافِ الكتَـابِ ويكتَفِي بذلكَ، وفي نظَـرِي أنَّ هَذَا لا يَكْفِي، بَلْ لا بُدَّ بعْدَ ذلكَ مِنْ نقلِهَا لدفتَرٍ خاصٍّ،

أو كتابتِها فِي الأجهزَةِ الذكيَّةِ أو الكمبيوتر.

* وبعدَ نقلِهَا لدفترٍ خاص تبْدَأُ فِي فرزِهَا «العَقَدِيَّةِ، الفقهيَّةِ، الحديثيةِ، وهكذَا»، ويكونُ هذا الدفترُ كبيراً وتكونُ الصفَحَاتُ مناسِبَةً للتقسِيمِ حتى تضُمَّ الفوائِدَ عَلَى مدارِ سنةٍ كامِلَةٍ في هذا الدفترِ وحسبَ العنوانِ المنَاسِبِ لَهَا.

* وكلما انتهيْتَ منْ كتابٍ تبدأُ بجمْعِ الفوائِدِ الموجودَةِ فيـهِ فِي الدفترِ المخصَّصِ لَهَا، وإذَا كانَ هناكَ تشـابُهٌ فِي الفوائِدِ فإنَّكَ تَضُمُّ النظِيرَ إلى النظِير.

* قد تسـتغرقُ القراءةُ والتدوينُ نحْوَ ثلاثَةِ أشهُرٍ، فلا بَأْسَ، وكُلُّ ذلكَ يهُونُ لأنَّكَ ستلتَقِطُ كنوزاً عظيمَةً.

* قـد تطرَأُ عليكَ فوائِدُ أخرَى أثناءَ قراءَةِ الكتابِ فهنَـا يجِـبُ ألَّا تهمِلَهَـا بل سـارِعْ فِـي ترتيبِهَا واختيَارِ العُنْوَانِ العَامِّ الذِي تندَرِجُ تحته.

* أقترحُ بـأنْ تُسَـارِعَ فِي طِبَاعَـةِ الفوائِـدِ التِي فِي دفتَرِكَ الخاصِّ وذلِـكَ لتكُونَ عندَكَ فِي جهَازِ الكمبيوتَـرِ أو الآيبـاد، ولكـي يسْـهُلَ عليـكَ التعدِيلُ والإضافَةُ كلما جدَّ لك أمرٌ أو وردَتْ إليك فائِدَةٌ أخرَى تشابِهُها.

* قد تجِدُ من يُزّهُدِّكَ في تدوينِ الفوائِدِ أوْ لا يهْتَمُّ بترتيبِهَا نَظَراً لتزَاحُمِ الأعمَالِ لديْهِ، فأوصِيكَ ألا تلتَفِتَ إليهِ، وتميّز أنتَ بدقَّةِ التنظِيمِ والترتيبِ وستجِدُ أنَّ ذلكَ الرجُلَ يتمنَّى أَنْ لو كانَ لديهِ

من الوقْتِ مَا يكفي ليسيرَ علَى حَذْوِ مسيرتِكَ في الكتَابَةِ وجودَةِ الترتِيبِ.

* لا بدَّ مِـن تنْوِيعِ المَواد المقروءَةِ لتتنَوَّعَ الفوائِدُ المستنبَطَةُ، فاقرأْ فِي العلمِ الشرعِيِّ وفي الأدَبِ وفِـي التارِيخِ، وهكَـذَا، ليكُـونَ لديكَ اطلاعٌ واسعٌ فِي سَـائِرِ العلومِ، وهذَا لَهُ أثرُهُ الواضِحُ فِـي تنميَـةِ المَلَكَـةِ العلميّـةِ وقـوةِ التأصِيـلِ والإبْدَاعِ العِلْمِيِّ.

* لابُـدَّ مِنْ مُرَاجَعَةِ الفوائِدِ بينَ وقتٍ وآخَرَ لتثَبُّتَ المعْلُومَاتِ.

* وأخيراً، أُوصِي كُلَّ مَنْ لديهِ دروسٌ فِي المسَاجِدِ أو عندَهُ طُـلابٌ يتتلمَذُونَ علَى يديْـهِ أنْ يعتَنِيَ

بتدريبِهِمْ علَى كتابَةِ الفَوائِدِ، وسيَكُونُ لذلكَ أثرٌ كبيرٌ في النضجِ العلمِي، ومَنْ جرَّبَ عَرَفَ.

* **كلمَا حرِصْتَ علَى كتابَةِ الفَوائِدِ** فإنَّكَ ستخترِعُ طرُقًا جديدَةً وإبدَاعِيةً في الكتَابَةِ.

* **التجـاربُ تختَلِفُ منْ شـخصٍ لآخَـرَ، وليسَ المهِـمُّ أنْ تسـلُكَ طريقَـةَ فـلانٍ أو غيـرِهِ،** إنَّمَا المُهِـمُّ أنْ تكتُبَ الفوائِدَ الجميلَةَ حتى تشـعُرَ بأنَـكَ حَصلتَ على ثمَـراتٍ جميلَةٍ مِنْ خِلَالِ مسيرَتِكَ العلمِيَّةِ.

❊❊❊

الأصنافُ الثلاثَةُ في التعليمِ

يقعُ بعضُ طلَّابِ العِلْـمِ في آفَاتِ التَّعَلُّم من حيثُ يشعرونَ أو لَا يشعرونَ، وهنَا ثلاثَةُ أصنافٍ:

الصنفُ الأوَّلُ:

مَـنْ يكتُـمُ العِلْمَ الذي تعَلَّمَـهُ، وهـذَا الكِتْمَانُ لَهُ طُرُق:

١. منهُـمْ مَنْ يُـردِّدُ عبارَةَ «لسـتُ أهلاً لـذَاكَ، اللهُ المُسْتَعَانُ، هناكَ مشايخُ غيرِي».

٢. والبعْضُ يقتَدِي ببَعْضِ السَّـلَفِ الذينَ شـدَّدُوا فِي مسْأَلَةِ التعلِيمِ والتَّصَدُّرِ.

■ وجوابِي لَهمْ:

١ - أمَّـا قولُكَ لسْـتُ أهلاً لـذَاكَ وغيرِهَـا، فنَحْنُ لا نطالِبُـكَ بِأَنْ تتَقَلَّدَ منصِبَ مفتِـي البِلادِ وتتعرَّضَ لأمَّهَاتِ المسَائِلِ.

إن سـؤالِي لـكَ: لمَاذَا تعتَـذِرُ عَنْ تعليـمِ جمَاعَةِ مسـجدِكَ وزمـلاءِ عمَلِـكَ وأقارِبِـكَ، ونحْوِهِمْ منَ النَاسِ القريبينَ مِنْكَ؟

٢ - إنَّ التصَدُّرَ الذي قَصَدَهُ السلَفُ هُوَ الفتْوَى فِي الحَـلَالِ والحَـرَامِ، ونحْوَ ذلِكَ ممَّا يتطَلَّبُ شـروطًا في الحفـظِ والعلمِ وجمْعِ العلـومِ ونحوِهَا من آلاتِ الفقْهِ والفَتْوَى.

وأمَّـا نَحْنُ هنَـا فنَطَالِبُكَ بتعلِيمِ جماعَةِ مسـجِدِكَ بعـضَ فضَائِلِ التوحِيدِ أو صِفَةَ الصـلاةِ، ولَا أظُنُّكَ تجهَلُهَا يا طَالِبَ العِلْمِ، فلمَاذَا تكتُمُ هَذَا العلْمَ الذِي يحتَاجُهُ مجتمَعُكَ القريبُ الذينَ ربَّما تلتَقِي بِهِمْ كُلَّ أُسْبُوع؟

يا أخِي، لعَلَّكَ تَحْفَظُ حديثَ «بلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»

رواهُ البُخَارِيُّ.

إنَّ هذَا الحَدِيثَ حُجَّةٌ عَلَى الكثيرِ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ الساكِتِينَ عَنْ تبلِيغِ الدينِ، ولَعلَّ البعضَ يحفَظُ القرْآنَ وليسَ فَقَطْ آيَة.

يا طالِبَ العلم، إنَّ كتمَانَ العِلمِ يُضعِفُ علمَكَ فِي نفسِكَ، وربَّمَا عاقَبَكَ اللهُ بِأَنْ تَنْسَاه.

وإنَّ كتمَانَ العلمِ يجْعَلُ النَّاسَ يسألُونَ غيرَكَ مِمَّنْ لَيْسَ عنْدَهُ عِلْمٌ، وربَّمَا أفتَوْهُمْ بغيرِ الصَّوَابِ فوقَعُوا فِي الخَطَأ بسبَبِ غيابِكَ أَنْتَ عَنْ تعليمِهِمْ.

والكتمَانُ يضُرُّ بالمجتمَعِ من ناحيةٍ أخْرَى، حيثُ أنَّهُمْ رُبَّمَا وَقَعُوا فِي المُخَالَفَاتِ الكُبْرَى فِي العَقَائِدِ والعِبَادَاتِ والمعَامَلَاتِ التِي تتضَمَّنُ مفاسِدَ كثيرَةً، والسببُ غيَابُكَ أنتَ عَنْ تعلِيمِهِمْ.

والكتمَانُ للعِلْمِ الواجِبِ يوجِبُ لعْنَةَ اللهِ، قالَ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٩].

قالَ الطَبَـرِيُّ: وهَذِهِ الآيَةُ وإنْ كانَتْ نَزَلَتْ فِي فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ - وَهُمُ اليهُودُ والنَّصَارَى -، فَإِنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهَا كُلُّ كاتِمٍ علمًا فَرَضَ اللهُ تعَالَى بيَانَهُ للنَّاسِ.

الصنْفُ الثّانِي:

أُنَـاسٌ لا يكتُمُونَ العِلْمَ، ولكنَّهُمْ يقَعُونَ فِي القولِ علَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهَذِهِ مصِيبَةٌ أُخْرَى.

فقدْ يجهَلُ ذلكَ المتَعَلِّمُ الجَوابَ فِي تِلْكَ المسْأَلَةِ فَلَا يَعْتَذِرُ عَنْهَا، بَلْ يجيبُ بِلَا عِلْمٍ، ونُذكِّرُ هؤلاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة النحل: آية ١١٦].

وربَّمَا أفتَى بِالظَنِّ، كقولِهِ أظُنُّ الجَوابَ كَذَا، وقَدْ قَالَ السَّـلَفُ: تَعَلَّمُوا العِلْمَ قبْـلَ الظَّانِّينَ، ومَتَى كَانَ العِلْمُ ظَنـًا؟ بَلِ العِلْمُ يقينٌ وجزْمٌ.

الصنفُ الثالثُ:

وَهُمْ مَنْ يُلبسُ الحَقَّ بالبَاطِلِ، فَلَا يجيبُ بعِلْم ولَا يعتَـذِرُ، ولَا يَقُولُ بلَا علـم، بَلْ يَلْبسُ الحَـقَّ بالبَاطِلِ حَتَّى يَظُنَّ النَّاسُ أنَّ ذلكَ الَمُنكَرَ لَهُ وَجْهٌ مِنَ الحَلالِ.

وَقَـدْ حَذَّرَنَـا اللهُ مِـنْ ذَلِـكَ بِقَوْلِـهِ: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سـورة البقرة: آية ٤٢].

وهنَا تَجِدُ أَنَّ اللهَ نَهَى عَنْ أمْرَيْنِ:

١ - تلبيسُ الحَقِّ بالبَاطِلِ.

٢- كِتْمَانُ الحَقِّ.

وبينَهُمَا تلازُمٌ فِي نظَرِي، فإِنَّ مَنْ لبَّسَ الحَقَّ بالبَاطِلِ فلابُـدَّ أَنْ يكونَ بفعلِهِ ذلِكَ قَدْ كَتَـمَ الحَقَّ، وكَمْ رأيْنَا مَنْ يُحسِّـنُ البِدْعَةَ ويُلْبِسَـهَا لِبَاسَ السُنَّةِ، ومَنْ يُزيِّنُ الحَرَامَ فيجَعَلُهُ شبيهَ الحَلالِ، واللهُ المُسْتَعَان.

والواجِـبُ علَـى طالِبِ العلمِ أَنْ يتَّقِـيَ اللهَ فِي هذَا العلـمِ وينشُـرَهُ ولَا يكتُمَـهُ، ولَا يقولُ علَـى اللهِ بغيرِ علْمٍ، ولَا يلبِسُ الحَـقَّ بِالبَاطِلِ، وهكَذَا كانَ العُلَمَاءُ الربَّانِيُّونَ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُلْحِقَنَا بدرَجَاتِهِمْ.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ مَعَ الشيوخِ

مِـنَ البديهِـيِّ فِي مسـيرَتِكَ العلمِيَّـةِ أَنْ يكونَ لَكَ شيوخٌ تتلَقَّى عنْهُمُ العلمَ، وهنَا بَعْضُ الخَوَاطِرِ:

١. ابحَثْ عَنِ الشـيخِ صَاحِبِ المنهَجِ السَّـلَفِيِّ لَا البِدْعِي.

٢. احرِصْ أنْ تكونَ حَسَـنَ الأدَبِ فِي تعامُلِكَ مَعَ الشيخِ، لأَنَّ لَهُ حقًّا كبيرًا علَى طُلَّابِهِ.

٣. بَعْـضُ الشـيوخِ يَكُـونُ أسـلوبُهُمْ فِي التعليمِ لَا يناسِبُ بَعْضَ الطُّلابِ، وهذَا ليسَ بغَرِيبٍ، لأَنَّ كُلَّ شـيخٍ لَهُ طريقَتُهُ، فابْحَثْ أَنْتَ عَنِ الشـيخِ الذي تفْهَمُ مِنْهُ العِلْمَ بشكْلٍ واضِحٍ.

٤. **إذَا لَمْ تفْهَمْ كلامَ الشيخِ فأخْبِرْهُ بكلِّ أدبٍ**، لكيْ يُعِيدَ لَكَ المسْأَلَةَ بأسلوبٍ يُنَاسِبُ فَهْمَكَ.

٥. **قَدْ تَجِدُ قَسْوَةً مِنْ شيخِكَ**، فَلَا تقَلْق فَقَدْ يكونُ شيخُكَ يَمُرُّ بظروفٍ نفسيَّةٍ أو أسريةٍ أو مَالِيَّةٍ، واحذَرْ منْ سُوءِ الظنِّ بالشيخِ، والتَمِسْ لَهُ العُذْرَ.

٦. **لَقَدْ كَتَبَ العلمَاءُ فِي أَدَبِ الطالبِ مَعَ شيخِه** فاقْرَأْ فيهَا لتزْدَادَ علْمًا بها.

❋❋❋

أَدَبُ السُّؤَالِ

في كثيرٍ مِنَ الأحيَانِ نحتَاجُ إِلَى أَنْ نَسْأَلَ أَهْلَ العِلْمِ عَنِ المَسَائِلِ التِي نجهَلُهَا، ولَا شَكَّ أَنَّ السؤالَ مِفْتَاحُ العِلْمِ كَمَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ، وهُنَا إِشارَاتٌ للسائِلِينَ:

١. لَقَدِ اعتَنَى العُلَمَاءُ بالتأليفِ فِي أدَبِ الاستِفْتَاءِ وبيَانِ الوسَائِلِ الصحيحَةِ والنافِعَةِ التِي يحتَاجُهَا المُسْتَفْتِي.

٢. مِنَ الكُتُبِ التِي يُوصَى بِهَا فِي هذَا البَابِ جميعُ الكتُبِ التِي تَتَكَلَّمُ عَنْ طَلَبِ العِلْمِ وهناكَ كُتُبٌ تكلمَتْ بِالخُصُوصِ عَنْ أَدَبِ المُسْتَفْتِي، وانْظُرْ «حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْمِ» للشيخِ بَكْر أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وهذه رؤوسُ أقْلامٍ في أدَبِ السؤَالِ:

١. لَا تَسْأَلْ إلا عَمَّا فِيهِ نَفْعٌ لَكَ.

٢. اختِيَارُ الوَقْتِ المُنَاسِبِ.

٣. اختِصَارُ السـؤَالِ وَعَدَمُ إطَالَتِهِ إلَّا عِنْدَ الحَاجَةِ إلَى ذَلِكَ.

٤. لَا تَخْجَل مِنَ السـؤَالِ، قَالَ مُجَاهِـد: لا يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مستحٍ ولَا مستكْبِرٌ.

٥. السؤالُ عَنِ الأشياءِ الوَاقِعَيةِ والبُعْدُ عَنِ الأسْئِلَةِ الافْتِرَاضِيَّةِ.

٦. ذكْـرُ أهمِّ مَا يتَعَلَّقُ بالسـؤَالِ والبُعْدُ عَنِ الكلامِ الذِي لَا يَتَعَلَّقُ بالسؤَالِ.

٧. **عنْدَ الاتصَالِ بالجَوَّالِ** فلابُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الأَدَبِ فِي الكَلَامِ.

٨. **عنـدَ الاتصَالِ فِي العَمَلِ، مُرَاعَاةُ ظروفِ العَمَلِ** وَأَنَّـكَ قَـدْ تَتَّصِلُ في وقـتٍ يَكُونُ عِنْدَ الشـيخِ بَعْضُ الناسِ أَو لَعَلَّ عِنْدَهُ بَعْضُ الأعْمَالِ التِي قَدْ تَحُولُ بينَهُ وبينَ الرَدِّ عليكَ.

٩. **لا تَقُلْ أَنَا سَأَلْتُ الشيخَ فَلانًا وأفتَانِي بكذَا،** لأَنَّ هَـذَا الأمْـرَ يجعَلُكَ في اضطرَابٍ وحيـرَةٍ، فَمَا هُوَ القولُ الذي ستَأْخُذُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الأقْوَالِ.

١٠. **لا تَمْتَحِنِ الشيخَ بالسؤَالِ،** كَمَنْ يُحَاوِلُ إظهَارَ علمِهِ علَى عِلْمِ الشيخِ.

مقترحات:

١. انظُرْ فِي فتاوَى الصحَابَةِ والأئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فلعَلَّكَ تَرَى فيهَا بعضَ مَا فِي ذهْنِكَ مِنَ الأسْئِلَةِ والشَّكَاوَى.

٢. لوْ قرَأْتَ كُتُبَ الفَتَاوَى المعَاصِرَةِ للشيخِ ابْنِ بازٍ وابْنِ عثيمينَ وابْنِ جبرينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ واللجنَةِ الدائِمَةُ لحَصَل لَكَ شبْهُ استغنَاءٍ عَنْ سؤَالِ العلمَاءِ، لأنَّ كتُبَهُمْ مليئَةٌ بالفَتَاوَى المُعَاصِرَةِ.

٣. انظرْ فِي فتَاوَى العُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي العلمِ فِي الإنترنت لِكَي تستفيدَ.

۞ والمرْأَةُ عِنْدَ السؤَالِ تنْتَبِهُ لأُمُورٍ:

١. أَنْ تتكَلَّمَ بِصَوْتٍ واضِحٍ بعيدٍ عَنِ الإِغْرَاءِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: آية ٣٢].

٢. يُلاحَظُ علَى بعْضِ النساءِ الإكثَارُ مِنَ السؤَالِ عَنِ الرُّؤَى والمنَامَاتِ، وتُزْعِجُ العُلَماءَ وطُلَّابَ العِلْمِ بذَلِكَ، والوَاجِبُ أَنْ تَسْأَلَ المَرْأَةُ عَمَّا ينفَعُهَا وَأَنْ تَبْتَعِدَ عَنْ بَعْضِ الأسئِلَةِ التِي لا تَنْفَعُ.

٣. يُلَاحَظُ عَلَى بَعْضِ النسَاءِ إِطَالَةُ الأسئِلَةِ وعدَمُ التَّقَيُّدِ بالمُهِمِّ.

٤. بَعْضُ الأخَوَاتِ تَعْرِضُ نفْسَهَا للزَوَاجِ وَهَذَا لَيْسَ مَجَالُهُ الهَاتف.

هذِهِ خَواطِرُ حَوْلَ أدَبِ السؤَالِ، وَلَعَلَّ عنْدَ التَأَمُّلِ يَظْهَرُ مَا هُوَ أَكْثَرُ منهَا، نَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ التوفيقَ لِلْعِلْمِ النَّافِعِ والعَمَلِ الصَّالِحِ.

❊❊❊

طالِبُ العِلْمِ والزَّوَاج

يقولُ أَحَدُ الشبَابِ: بَدَأْتُ بطلَبِ العلْم والحَمْدُ للهِ، وَأُرِيدُ الزَّوَاجَ وَلَكِنْ تأتيني بَعْضُ الخَوَاطِرِ لتأخِيرِ الزوَاجِ، خوفًا أَنْ يكونَ الزَّوَاجُ عَائِقًا لي فِي طَلَبِ العِلْمِ، فَمَا توجيهُكَ لِي؟

الجَوابُ:

١. اعْلَمْ أَنَّ الذِي أَمَرَكَ بطَلَبِ العلم هُوَ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ الذي حَثَّكَ علَى الزَّوَاجِ أيضًا.

٢. الزواجُ مِنْ سُنَنِ الأنبيَاءِ والمُرْسَلِينَ عليهِمُ الصلَاةُ والسَّلَامُ.

٣. لَيْسَ هنَاكَ تعَارُضٌ بينَ طَلَبِ العِلْمِ والزَّوَاجِ.

٤. أوصِيكَ باخْتِيَارِ المَـرْأَةِ التِي تعينُكَ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ، وهَذَا يتَحَقَّقُ بجَمْعِ المعلومَاتِ الكافِيَةِ عنِ المَرْأَةِ قبْلَ المُوافَقَةِ عليهَا.

٥. اعْلَـمْ أَنَّ ترتيـبَ الوَقْتِ هُوَ الحَـلُّ الأعْظَمُ فِي الجَمْعِ بينَ الزَوَاجِ وطلَبِ العِلْمِ.

٦. انظُـرْ فِي التَّارِيخِ تَجـدْ أَنَّ العُلَمَاءَ كانُوا قائِمينَ بِمَا أَمَـرَ اللهُ مِنَ التعَلُّـمِ والتعليـمِ، وأيضـًا لَهُمْ زوجَاتٌ وأَبْنَاءٌ وبَنَات.

٧. إِنَّ مِنْ مَدَاخِلِ الشـيطَانِ أَنْ يَصْرِفَكَ عَنِ الزوَاجِ بِحُجَّةِ طَلَبِ العِلْمِ.

٨. اعْلَـمْ أَنَّ الزَّوَاجَ يحقِّقُ لَـكَ العِفَّةَ والحِمَايَةَ مِنْ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ.

٩. لا يَكُـنْ قدْوَتَكَ بَعْـضُ العُلمَاءِ العُـزَّاب؛ لأَنَّ القدوَةَ الحقيقِيَّ هُوَ الرسـولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقَدْ مَاتَ وَلَه تسعُ نِسْوَة.

وبَعْدَ الزّوَاجِ انْتَبِهْ لِعِدّةِ أُمُورٍ:

١. قَدْ تكونُ زَوْجَتُـكَ لا تَهْتَمُّ بطَلَبِ العِلْمِ فَعَلَيْكَ بالتَأَنِّـي وَالرفْقِ فِـي إقنَاعِهَا بِفَضْـلِ العِلْمِ، ولَا تستَعْجِلِ النَتَائِجَ فَقَدْ لَا تَسْتَجيبُ لَكَ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ.

٢. زوجَتُـكَ بحَاجَـةٍ إِلَى العِلْـمِ، فعليْـكَ باختِيَارِ الطرِيقَةِ المُثْلَى فِي تعليمِهَا.

٣. قَـدْ تكُـونُ زوجَتُكَ لَا تُحِـبُّ الكُتُـبَ، ولكِنَّهَا تَرْغَبُ فِـي مُشَـاهَدَةِ القَنَـواتِ الإسْـلَامِيَّةِ أَوِ المواقِـعِ عَبْـرَ الإنترنِـت أوْ مَوَاقِـعِ التَّوَاصُـلِ النَّافِعَةِ، وهَذَا خَيْرٌ بِلَا شَكّ.

٤. اعَلَـمْ أَنَّ حُسْـنَ الخُلُـقِ مَـعَ الزوجَـةِ والمَوَدَّةَ والاحتِـرَامَ هُـوَ أعظَمُ طريـقٍ يَجْعَـلُ زوجَتَكَ تُحِبُّـكَ، وإذَا تَمَّ ذَلِكَ فسَـوْفَ تَجِـدُ زوجَتَكَ خَيْرَ معينٍ لَكَ فِي طَرِيقِ العِلْمِ.

٥. إيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ تـركَ الزوْجَةِ والأبنَاءِ هُوَ الحَلُّ لكَيْ تَتَفَرَّغَ لِلْعِلْمِ، بلِ الحَلُّ هُوَ تحقِيقُ التوازُنِ بَيْنَ طَلَبِ العِلْمِ وحقوقِ الأُسْرَةِ.

٦. لَيْسَ المُهِمُّ أَنْ تَكُونَ زَوْجَتُكَ طالِبَةَ عِلْمٍ مِنَ الدرَجَةِ الأولَى، إِنَّمَا المُهِمُّ أَنْ تكونَ عَوْنًا لَكَ في طَرِيقِ العِلْمِ.

❋❋❋

الصبر يَا طالِبَ العِلْمِ

مِنَ السـهْلِ جِـدًّا أَنْ نَتكَلَّـمَ عَنِ الصبْرِ فِـي طَلَبِ العلم وإيرَادِ مواقِفِ السلَفِ فِي ذلك، وسرْدِ القِصَصِ والأَبيَاتِ التِي تؤَكِّدُ ذَلِكَ.

ولكنْ فِي الحقيقَـةِ نَحْنُ بحَاجَةٍ إِلَـى تربِيَةِ النفْسِ علَـى كيفِيَّةِ الصبرِ فِي تحصِيـلِ العِلْمِ، وَفِي الحديثِ (وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ) أخرجَهُ البخاري.

أمثِلَةٌ مُهِمّة:

* الصَّبْـرُ علَى حضُورِ الدرْسِ العِلْمِيِّ حتَّى لَوْ كَانَ فِي وقتٍ لَمْ تَتَعَوَّدْ عليه، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الفَجْرِ، أَوْ بَعْدَ العِشَاءِ، فَأَنْتَ لَمْ تتعَود على ذلك ولكِنْ لابُدَّ أَنْ تُجَاهِدَ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ.

❊ أحيانًا تُقَامُ دورَاتٌ علميَّـةٌ مكثَّفَةٌ فِي القرآنِ أَوْ فِي بقيَّـةِ العُلومِ وتَجِدُ الشـبَابَ يُقْبِلُـونَ عليهَا إقبَـالاً عجيبًا فِي بِدَايَةِ الدورَةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَيَّامٍ يَقِلَّ الحضُورُ ويغيبُ الكثيرُ مِنَ الطُّلَّابِ لأَنَّهُمْ فَقَدُوا الصَّبْرَ.

❊ عندَمَـا تَقَرأُ كتابًا تبْـدَأُ بِهِمَّةٍ عجيبَـةٍ ولكِنْ بَعْدَ دقائِـقَ تتَوَقَّفُ وتملَّ وتخرجُ مِنَ البيتِ تَبْحَثُ عَنْ صديقٍ أَوْ تتكلَّمُ بالجـوَّالِ لِكَيْ تُرَوِّحَ عَنْ نفسِكَ فَأَيْنَ الصَّبْرُ؟

❊ عندَمَا تُحَضِّرُ لبَعْضِ الـدروسِ والمُحَاضَرَاتِ تَجْلِـسُ فِـي أَوَلِهَا ولكِنْ هـلْ تَبْقَى إلَـى نِهَايَةِ الدَّرْسِ؟

* أحيانـًا يكُونُ الدرْسُ فِي مكَانٍ بعيدٍ كأَنْ يكونَ فِي طَرَفِ المدينَةِ، فهَلْ تَذْهَبُ لذَلِكَ؟ نعَمْ، إِذَا وُجِدَ الصَّبْرُ.

* عندَمَا يعَاتِبُكَ الشيخُ أَوْ يسْأَلُكَ، قَدْ يصيبُكَ الحَرَجُ، وقَدْ يَدْخُلُ الشيطَانُ عليكَ لِكَيْ يحرِمَكَ مِنَ الحضُورِ مَرَّةً أُخْرَى، فَهَلْ تَحْضُرُ؟

* هلْ أَنْتَ مِمَّنْ يَسْهَرُ عَلَى العِلْمِ ويبْحَثُ فِي تحريرِ المَسَائِلِ وتحقيقِهَا ويراجِعُ المُجَلَّدَاتِ أَمْ أَنَّكَ مِمَّنْ تَعَوَّدَ عَلَى الكَسَلِ؟

* هلْ سَبَقَ أَنْ رَكِبْتَ سيارَتَكَ وَاتجَهْتَ إِلَى بَعْضِ العُلَماءِ لكَيْ تُنَاقِشَهُ وتسأَلَهُ عَنْ بَعْضِ المَسَائِلِ؟

* **هلْ تَحْفَظُ شيئًا مِنَ المُتُونِ العِلْمِيَّةِ؟** أنَا أَعْلمُ أَنَّ هَذَا يحتَاجُ إِلَى صَبْرٍ طويلٍ فَهَلْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ؟

* **هلْ تُنْفِقُ بَعْضَ مَالِكَ فِي سبيلِ العلْمِ،** كشِرَاءِ كِتَابٍ، أو سفرٍ إِلَى أَحَدِ العلمَاءِ لرؤيتِهِ والسَّلَامِ عليه؟

* **أهلُكَ قَدْ يَضْجَرُونَ مِنَ العلمِ الذي تطْلُبُهُ،** وقَدْ تصيبُ زوْجَتَكَ الغَيْرَةُ منْ ذَلِكَ، فَهَلْ تستجِيبُ لأهْوَائِهِمْ وتتنازَلُ عَنِ العلْمِ أَمْ أَنَّكَ سَتُواصِلُ علَى طَرِيقِ العِلْمِ، وتُرَاعِي حقُوقَ الزَّوْجَةِ والأبْنَاءِ.

أيهَـا الطَّالِـبُ، الصبـرُ زادُكَ فِـي هَـذَا الطَّرِيـقِ،

وفضَائِلُ الصبْرِ قَدْ مَلَأَتْ كتابَ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ نبيِّهِ، فاصبِرْ وجَاهِدْ نفْسَكَ وَسَوْفَ تَرَى نتيجَةَ الصبرِ فِي مستَقْبَلِ أيَّامِكَ.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ وبِرُّ الوَالِدَيْنِ

يغْفَلُ بعْضُ طلابِ العِلْمِ عَنْ واجِبٍ عظِيمٍ، ألَا وَهُوَ بِرُّ الوَالِدَيْنِ.

وأنَا لَنْ أَذْكُرَ الأدِلَّةَ فِي وُجُوبِ بِرِّ الوَالِدَيْنِ لِأَنَّكَ تَعْرِفُهَا، ولكِنِّي سأذْكُرُ لَكَ بَعْضَ المُلَاحَظَاتِ التِي رأيْتُهَا عَلَى بَعْضِ الطُّلَّابِ:

١. بَعْضُهُمْ لا يستَأْذِنُ والدَيْهِ عنْدَ ذَهَابِهِ للدرُوسِ، والوَاجِبُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لأنهُمَا قدْ يحتَاجَانِهِ فِي أَمْرٍ ضَرُورِيٍّ.

٢. بَعْضُهُمْ قد يُقدّمُ البرامِجَ العلميَّةَ على مواعيدِ والدَيْهِ، ولا شَكَّ أنَّ هذا خَطَأ.

٣. بعضُهُمْ مقصِّرٌ فِي دعوَةِ والدَيْهِ إلَى الخَيْرِ.

٤. بعضُهُمْ سيءُ الخُلُقِ مَعَ والديهِ فتجِدُهُ رافِعًا صوْتَهُ، قاسِي القَلْبِ، وهذَا بلا ريبٍ تناقُضٌ كبيرٌ، إذْ كيفَ تقرَأُ النصُوصَ فِي التأكِيدِ على برِّ الوالدَيْنِ ثُمَّ أنتَ تخالِفُهَا؟

٥. بعضُ الطلابِ ينفِقُ أموالَهُ فِي الأُمُورِ العلميَّةِ كشِرَاءِ الكُتُبِ وغيرِها، لكنَّ والدَيْهِ فِي حاجَةٍ شديدَةٍ إلَى المَالِ، والوَاجِبُ أنْ يكونَ الطالِبُ عنْدَهُ توازُنٌ فِي هذا الأمرِ، فلا ينْسَى والدَيْهِ، وأيضًا لا يتْرُكُ العِلْمَ.

٦. بعضُهُمْ يحرِصُ علَى الدروسِ والمُحَاضَرَاتِ حِرْصًا شدِيداً، ولكِنَّهُ يهْمِلُ دراسَتَهُ، ولا شَكَّ أَنَّ الوالدينِ يريدَانِ مِنَ الابنَ الحرصَ علَى

دراسَـتِهِ لكَيْ ينجَحَ ويتَخَرَّجَ مِنْ دِرَاسَـتِهِ، فلا بُدَّ للطالِبِ أنْ يحرِصَ علَى دراسَتِهِ لكيْ يتفَوَّقَ فيهَا، ولئَلا يُغضِبَ والديهِ بسـبَبِ تقصيرِهِ فِي دِرَاسَتِهِ.

٧. **بعـضُ طـلابِ العلْمِ يقَصِّـرُ فِي حقُـوقِ البيتِ مِنْ شِـرَاءِ الأغرَاضِ أو خدْمَةِ أخواتِهِ ووالدَتِهِ،** ويترَتَّبُ علَى ذلكَ أَنَّ والدَهُ يغضَبُ عليهِ، وقدْ تسْـمَعُ مِنْ بَعْضِ الآبَاءِ الدعَـاءَ علَى وَلَدِهِ، مَعَ أَنَّ وَلَدَهُ علَى استقَامَةٍ بلْ قدْ يكونُ طالبَ عِلْمٍ، وهذا ممَّا يُحْزِنَ القَلْبَ.

فيا أيها الطُّلَّابُ اللهَ اللهَ فِي بِرِّ الوالدَيْنِ.

طالِبُ العِلْمِ ومهارَةُ الكتَابَةِ

لا أقْصِدُ هنَـا أَنْ نَتعالَمَ ونتَفَاخَرَ بكثْـرَةِ مَا نكتُبُ، ولكنِّي أدعُوكَ لتفعِيلِ مهـارَةِ كتابَةِ العِلْمِ التِي توجَدُ عنْدَكَ ولكِنَّكَ ربَّمَا أهمَلْتَهَا.

كنتُ معَ صديقِـي نتحَدَّثُ عنِ الكتابَةِ فِي المواقِعِ الإسـلامِيَّةِ فاعْتَذَرَ بأَنَّهُ ليسَ بصاحِـب بَحْثٍ وكتَابَةٍ، وبَعْدَ أسـابيعَ يحدثُنِي عَنْ بُحُـوثِ الجامِعَةِ والتعَبِ الذِي يجِدُهُ فيهَا، فقلتُ لَهُ: لمَ لمْ تعتَذِرْ لهُمْ وتقولُ: لستُ بصَاحِبِ بحْثٍ؟

إننَـا نُخَادِعُ أنفُسَـنَا أحيَانًـا ونعتَذِرُ لهَـا فِي تغييبِهَا عَنْ تفْعِيلِ المَهَارَاتِ التي منَحَنَا اللهُ إياهَا.

إنَّ طالبَ العلمِ لابُدَّ أنْ يكونَ ذا كِتَابَةٍ، وأنَا لا أقْصِدُ أَنْ يَكْتُـبَ ليبيعَ الكتَابَ فِي معرِضِ الكتَابِ، ولكنِّي أقصِـدُ أنْ يكْتُبَ لنفْسِـهِ أوَّلاً ليتدَرَّبَ، ويربِّيَ نفْسَـهُ ويترَقَّـى فِـي فنُونِ البحْـثِ ومطالَعَةِ الكُتُـبِ والنظَرِ في كلَامِ العلمَـاءِ وتصانِيفِهِمْ وفنُـونِ الكلامِ العِلْمِي حَوْلَ المسائِلِ.

إنَّ بعضَ طُلَّابِ العلْمِ يعيشُ بينَ أجزاءِ المكتَبَةِ فقَطْ، يقَرَأُ ويسمَعُ الدرُوسَ عَبْرَ جوالِهِ أوْ أجهِزَتِه، ويكتفِي عِنْدَ ذَلِكَ، وهَذَا لا يكفِي فِي التأصِيلِ العِلْمِيِّ.

إذ لابُدَّ مِـن أوقَـاتٍ لكتَابَةِ مسـألَةٍ، ووقتٍ لجمْعِ الفوائِدِ حولَ حدِيثٍ، ووقتٍ لبَحْثِ تفسيرِ آيَةٍ ونحْوَ ذلكَ مِنَ المبَاحِثِ العلمِيَّةِ.

إنَّ النَّظَرَ فِي كُتُبِ العُلَمَاءِ فِي مرَاحِلِ بحثِكَ يفيدُكَ فِي معرفَةِ منهَجِ المؤلِّفِ فِي الكلامِ عَنِ المسألَةِ، وكيفَ استَدَلَّ لَهَا، وكيفَ رَدَّ عَلَى المخالفينَ، وبمَاذَا وجَّهَ القولَ الـذِي رجَّحَهُ، وغيـرُ تلكَ الفوَائِـدِ التِي ربمَا تكونُ أنفَعَ مِنْ مُجَـرَّدِ معرِفَةِ النتيجَةِ النهائِيَّةِ لبَحْثِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ حكمِ مَا أَوْ صِحَّةِ حديثٍ أوْ مَعْنَى قاعِدَةٍ.

وهكـذا تكُـونُ الكتَابَـةُ العلميةُ منْ أعظـمِ مَا يبنِي التمَيُّزَ لدَى طَالِبِ العِلْمِ.

ولعَلَّ مِنْ أسـرَارِ نبوغِ العلمَاءِ قديمًا وحَدِيثًا قَوَّةَ الارتبَـاطِ لديهِمْ بينَ مهارَتَي القِرَاءَةِ والكتَابَةِ، ولذَا لَا تكادُ تَسْـمَعُ بعَالِمٍ راسـخٍ فِي أيِّ فَنٍّ إلا وتَجِدُ عندَهُ عشَـرَاتِ الكتـبِ التِـي صنَّفَهَـا، علَـى اختلافِهَا فِي الحَجْمِ والقوَّةِ العلميَّةِ ونوعِيَّةِ المُحْتَوَى.

مقترحَاتٌ:

مِنَ الطبيعِيِّ أَنْ يخْتَلِـفَ الطلَّابُ فِي تخصُّصَاتِهِمْ العِلْمِيَّةِ وكلَامِي هُنَا بشكْلٍ عَام.

١. خصِّصْ لنفسِـكَ بحثًا كُلَّ شـهْرٍ يتناوَلُ مسْأَلَةً فِي تخصُّصِكَ.

٢. حاوِلْ أنْ تتَدَرَّبَ علَـى فنُونِ البحْثِ مِنْ خِلَالِ الدورَاتِ التِي تناوَلَتْ هَذَا الجَانِبَ.

٣. حافِظْ علَى أورَاقِ بحثِكَ، ولوْ كتَبْتَ فِي الآيبَادِ أوِ الكمبيُوتَـر لكَانَ أفضَلَ مَعَ إرسـالِ نسـخَةٍ لبريـدِكَ، عنـدَ كلِّ نهَايَةِ بَحْثٍ، حتَّـى لَا يضِيعَ منْكَ.

٤. **بعْـدَ كُلِّ بَحْثٍ اعْرِضْهُ علَى شـيخِكَ الذِي تثِقُ بعلْمِـهِ**، أَوْ صديقِـكَ الذي يفوقُكَ فِـي العِلْمِ، ليطالِعَـهُ ويفيـدُكَ بالمُلاحظَاتِ، وهَـذَا الأمْرُ يفيـدُكَ في بحثِكَ، وهذَا منهَجٌ قدِيـمٌ للعُلَمَاءِ، ولا تَقْلَـقْ عنْدَ إبدَاءِ المُلاحظَاتِ علَى مبحَثِكَ لأنَّـكَ لازِلْتَ فِـي بدَايَةِ الطلـبِ وأَنْتَ تحتَاجُ للنَقْدِ والتصحِيحِ والإضَافَةِ.

٥. **بَعْـدَ انتِهَاءِ البَحْثِ اتْرُكْهُ جانِبـًا ثُمَّ انظُرْ فيهِ فِي كُلَّ شَـهْرٍ لتضِيـفَ وتُعـدِّلَ وتحـذِفَ**، وهكذَا يكونُ بحثُكَ أَوْ مقالُكَ فِي مَصْنَعِ الإعْدَادِ.

قالَ معمَّرُ بنُ راشدٍ: لَوْ عُرِضَ الكتَابُ مائَةَ مَرَّةٍ مَا كادَ يَسْـلَمُ مِنْ أَنْ يكونَ فيهِ سَـقْطٌ، أَوْ خطَأٌ.

جامع بيان العلم: ١/ ٣٣٨.

وقـالَ المُزَنـيُّ تلميذُ الشَـافِعِيِّ: قَـرَأْتُ كتَابَ الرسَـالَةِ علَى الشـافِعِيِّ ثمانِينَ مـرَّةً، فمَا مِنْ مَرَّةٍ إلا وَكَانَ يَقِفُ علَى خطَأ، فَقَالَ الشافِعِيُّ: هيه – أَيْ حسبُكَ – أبَى اللهُ أنْ يَكُونَ صحيحًا غَيرُ كِتَابِهِ.

قلتُ: صـدَقَ اللهُ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: آية ٨٢].

٦. نريـدُكَ أَنْ تكتُبَ الكتَـابَ الذي يُنمِّـي العقْلَ، ويبصِّرُ القَارِئَ، ويُعَلِّمُ الجَاهِلَ، ويذَكِّرُ الغَافِلَ، نريـدُ الكتَـابَ الـذِي يزِيـدُ الإيمَانَ، ويسْـعِدُ الرُّوحَ ويشـرَحُ الصدْرَ، كتَابًا يكونُ للمسَـافِرِ أنيسًا، وللمقيمِ خيرَ جليس.

٧. أيهَا الكاتِبُ لا تغفَلْ عن صَلاةِ الاستِخَارَةِ فيمَا تَأتِي وتَذَر.

٨. لا تَغْفَلْ عنْ توثيقِ النصُوصِ والأقوَالِ، فَإِنَّ هذَا دليلُ الأمَانَةِ.

٩. اجتهِدْ فِي كتَابِكَ، واعْلَمْ أنَّ الكتَابَ الذِي لا يبذُلُ صاحِبُهُ فيهِ جهْدَهُ، لَا أَثَرَ لَهُ.

١٠. كنْ مِمَّنْ يتقِنُ فَنَّ الاختِصَارِ.

١١. ادْعُ اللهَ فِي سجودِكَ فِي آخِرِ الليلِ بِأَنْ يبَارِكَ اللهُ فِي كتَابِكَ.

١٢. تثبَّتْ مِنَ الأحادِيثِ المنسُوبَةِ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٣. اعلَمْ أَنَّ الكِتَابَ مِنَ الصدَقَةِ الجارِيَةِ، وَمِنَ العِلْمِ الذِي يُنْتَفَعُ بِهِ، فابْذُلْ وقتَكَ فِيهِ.

١٤. مَا كَانَ للهِ بَقِيَ ونَفَعَ.

ومضة:

لَـوِ افترَضْنَـا أنَّ لدينَـا ٣٠ طالِـبَ علـمٍ متمكنًا في تخصُّصِهِ ثُمَّ اتفقْنَا مَعَهُمْ على إعدَادِ بحثٍ مِنْ عَشْـرِ صفَحَـاتٍ علَى الأَقَلِّ، وهَكَذَا كلَّ شَـهْرٍ، وبَعْدَ نهَايَةِ الشـهرِ اجتمَعْنَا لنرَى نتَاجَهُـمْ ومُلَخَّصَ بحُوثِهِم، يا ترى كَمْ هِيَ الفَوائِدُ التِي سَنَحْصُلُ عليهَا؟

إنهـا نَحْـوَ ٣٠ بحْثًـا، إنهَـا ثمـرَةُ ٣٠ عقْـلًا يفَكِّرُ ويبْحَثُ.

ومضة:

إِنَّ مجرَّدَ القراءَةِ العلميَـةِ بدونِ الغوصِ في الكتَابَةِ والتعليقِ والبحْثِ في الغَالِبِ لا تبنِي الطالِبَ بشـكْلٍ قوِيٍّ، ولا تؤهِلُهُ للترَقِّي فِي مراتِبِ العِلْمِ.

ومضة:

إِنَّ الذِي يبحَثُ فِي الكُتُبِ ليسَ كالذِي يبحَثُ عَبْرَ الإنترنـت، فهُوَ يُقَلِّبُ الصفَحَاتِ ويعيشُ بينَ أنفَاسِ المؤلِفِينَ وكأَنَّهُ بينَهُمْ، ولِهَذَا تجدُهُ محِبًّا للعِلْمِ أكثرَ مِنَ الذِي يقرَأُ فقط أَوْ يراجِعُ مُحَرِّكَاتِ البَحْثِ.

وهذا لا يعْنِي تهميـشَ الإنترنت، بَلْ هُوَ بابٌ كبيرٌ للانتِفَـاعِ، ولَكـنَّ مـرادِي هُوَ تفعِيـلُ مهَـارَةِ الكتَابَةِ ومُرَاجَعَةُ كُتُبِ العُلَماءِ.

طالِبُ العلْمِ والإخْلَاص

إنَّ مـنْ أعظَم فوائِدِ طلَبِ العلْـم تربيةَ النفسِ علَى الصـدْقِ والإخْـلَاصِ، قـالَ تعالَـى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة: آية ٥].

يا طالِبَ العلـم ليكُنْ قصدُكَ مِنَ العلْـم هُوَ ابتغَاءُ الأجْرِ والثـوَابِ مِنَ اللهِ ورفعِ الجهْلِ عنْ نفسِـكَ ثُمَّ عَنْ غيرِكَ.

الإخلاصُ أكبَرُ سببٍ يُبارِكُ في العلمِ الذي تطلبُهُ.

الإخلاصُ يرفعُكَ يا طَالبَ العلمِ عِنْدَ اللهِ وعنْدَ الناسِ.

الإخلاصُ سـببٌ لصحَّةِ الفهمِ وقوةِ الاسـتنبَاطِ، قـالَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصحَّةُ الفهْمِ نورٌ يقذفهُ اللهُ في قلبِ العبْدِ، يمدُّهُ تقوى الربِّ وحُسنُ القصْدِ.

يـا طالِبَ العلـم، إنَّ الرياءَ ضِدُّ الإخـلاصِ، وهُوَ مرضٌ خطيرٌ إذا تَمَكَّنَ في القلبِ فقَدْ تمَّتِ الخسـارَةُ في الدنيا والآخرة.

والرياءُ في طلَبِ العِلْمِ لهُ علاماتٌ فاحذَرْهَا، ومنها:

١. محبَّـةُ الظهورِ أمَـامَ الناسِ لأنَّـكَ تتميزُ بطلبِ العِلْمِ.

٢. أنْ تتكبَّـرَ علَـى النـاسِ وأَنْ ترَى نفسَـكَ بعينِ الكمَالِ.

٣. كراهِيَةُ النصيحَة.

يا طالِبَ العلم، قدْ تأتيكَ بعضُ الخواطِرِ فِي الرياءِ وحبِّ الثنَاءِ ولكنْ جاهِدْ نفسَـكَ علَى أَنْ تدفَعَهَا عَنْ نفْسِك.

وصايَا:

١. تذكَّـرْ دائمـًا أَنَّ أعظَمَ أسـرَارِ التوفيقِ فِي طلَبِ العلْمِ هُوَ الإخْلَاصُ.

٢. انظـرْ فِـي سِـيَرِ العلَمَاءِ لتَـرَى قـوَّةَ إخلاصِهِمْ وصدقِهِمْ مَعَ ربِّهِمْ جَلَّوَعَلَا.

٣. كُنْ علَـى يقِينٍ أَنَّ اللهَ يعلمُ مَا فِـي قلبِكَ فهنيئـًا لَكَ إذَا رأَى اللهُ الإخلاصَ فيهِ.

٤. أوصيكَ أَنْ تَدْعُوَ ربَّكَ دائِمـًا بِأَنْ يُصْلِحَ نيتَكَ.

❋❋❋

الفَوضَى في طَلَبِ العِلْمِ

سـؤالٌ يتكَرَّرُ دائمـًا لدى طلابِ العلمِ: يا شـيخَ، كيفَ أطْلُبُ العِلْمَ؟

فيجيبُ الشيخُ: تبْدَأُ بكَذَا وكَذَا.

ثم يبْـدَأُ الطالِبُ بتنفيذِ مَا قَالَهُ الشـيخُ، ولكنْ بعدَ أيامٍ يُغَيِّرُ الطَّالِبُ المنهَجَ ويسـلُكُ طريقَةً أخرَى غيرَ تلْكَ التِي رَسَمَها الشيخ.

لمـاذَا أيُّهـا الطالِبُ تبـدَأُ في كتابٍ ثـم تترُكُهُ غداً، وتبـدَأُ فِي حفْـظِ مَتْنٍ، وبعدَ أيامٍ تترُكُـهُ؟ واليومَ عنْدَ أحَدِ المشايخِ وغداً عِندَ غيرِهِ؟

وهكذا تَتَكَرَّرُ صـورُ الفوضَى عِنْدَ طلابِ العلمِ، وأنَا لا أتعَجَّبُ مِنْ وجودِهَـا، ولكِنْ أتعَجَّبُ مِمَّنْ يتجاوزُهَـا ويبـدَأُ في الطلِـبِ المبنِـيِّ علَـى منهَـجٍ واضِحٍ.

ولسـتُ الآنَ في بيانِ كيفيةِ طلَبِ العلمِ؛ لأَنَّ الكلامَ عـنْ ذلكَ قَدْ أشـبَعَهُ العلمَاءُ بحثًا، ولكنِّي أشـيرُ إلى ضـرورَةِ تربيَةِ الشـبَابِ علَـى المنهَـجِ الصحيحِ فِي الطلَبِ.

يا طالِـبَ العلمِ، ابـدَأْ بالمُهِمَّاتِ، ورتِّـبْ وقتَكَ، واثبُـتْ علَى الطريـقِ، واحذَرْ مِـنَ الفوضَى، ولازِمْ شيخَكَ حتَّى يحوطَكَ بالمُتَابَعَةِ الدائِمَةِ.

طالِبُ العلمِ وطَلَبُ الرِئَاسَة

عندَمَا تصفَّحْتُ كتُبَ السلَفِ رأيتُ أنَّ الحذَرَ مِنَ الشُّـهْرَةِ والبُعْدَ عَنِ التصدُّرِ هُـوَ الغَالِبُ عليهِمْ قولاً وعمَـلاً، وهَذَا المفهُـومُ يحتَاجُ إلَى ضبْـطٍ لحدودِهَ وحروفِهِ.

فأقُولُ: بِلا شَكٍّ أَنَّ مِنَ المصَالِحِ العامَّةِ نفْعَ النَّاسِ وتعليمَهُمْ، وهذَا المقصِدُ الجليلُ تواتَرَتِ النصوصُ مِنَ الكتَابِ والسنَّةِ بالحَثِّ عليْهِ، ولا بُدَّ مِنَ القيامِ بِهِ، ولَنْ يتحَقَّقَ ذلِكَ إذَا طبَّقْنَا كراهِيَةَ الشهرَةِ والاختفَاءَ عَنِ الناسِ والزهْدَ فِي الرئَاسَةِ.

ولعَـلَّ قصْدَ السـلفِ هُـوَ «الحُبُّ القلْبِيُّ للشـهْرَةِ والسعْيُ لذلك» وأمَّا إذَا جاءَتِ الشهرَةُ تبَعـًا لا قَصْداً فلَا أرَى فِي ذَلِكَ أيَّ حَرَج.

وتـأمّل هذِه النصُوص:

* يوسُـفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يطْلُبُ الرئاسَـةَ ويُزَكِّي نفْسَهُ، قالَ تَعَالَى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: آية ٥٥] ولَـوْ تَـرَكَ الرئَاسَـةَ لأخذَهَا مَنْ ليَس بِأَهْلٍ لها أوْ ضَعِيفُ الديَانَةِ.

* عثمَـانُ بـنُ أبِـي العـاصِ يأتِـي إلَـى الرسُـولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقـولُ: «اجعَلْنِـي إمَـامَ قَوْمِـي» فانْظُرْ كيفَ طَلَبَ الإمَامَةَ ولَمْ يَزْهَدْ فيهَا.

* حاجَـةُ الأُمَّةِ إِلَى تولِيَةِ المنَاصِبِ المهمَّةِ سـواءً كانَتْ شـرعِيَّةً أَوْ دنيويَّة، أَمَّا الشرْعِيَّةُ كالقَضَاءِ والإِمَامَـةِ والدعْـوَةِ، وأَمَّـا الدنيويَّـةُ كإِدَارَةِ المراكِزِ والمؤسَّسَاتِ والشركَاتِ ونحوِ ذلِكَ، فلَـوْ أَنَّ الغالِبَ علَى أَهْـلِ الخيرِ الزهْدُ في هَذِهِ المناصِبِ لتولاهَا مَنْ ليسَ بأَهْلٍ لَهَا.

إشارَة:

إِذَا كَانَ طَلَـبُ الرئَاسَـةِ مذمُومًـا أصلاً فَـلَا بُدَّ أَنْ نُجَدِّدَ النيَّةَ ونطلبَهَا بِقَصْدِ نَفْعِ الأُمَّةِ.

❋❋❋

طالِبُ العلْمِ ومكتَبَتُهُ (٣٩ فكْرَةً)

كُلُّ طالِبِ عِلْمٍ يحبُّ مكتبَتَهُ التي منهَا يقتَبِسُ العِلْمَ، وبينَ رُفُوفِهَا تَسْكُنُ المَرَاجِعُ العلمِيَّةُ، وفِي داخِلِهَا المِيرَاثُ النَبَوِيُّ.

وإذا فَرِحَ الناسُ بالقَنَواتِ والاستِرَاحَاتِ ومجَالَاتِ الترفِيهِ، فَإِنَّ سرُورَ طالِبِ العِلْمِ إذَا خَلَا بمكتبَتِهِ، وسعَادَتَهُ حينَمَا يُقَلِّبُ الصفحَاتِ في بَحْثِ مسألَةٍ أو كتابَةِ فائِدَةٍ أو مُطالَعَةٍ مفيدَة.

وإذا كانَتِ المكتَبَةُ للطَالِبِ بهَذِهِ المنزِلَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يفَقَهَ الطالِبُ كَيْفَ يتعامَلُ معَهَا ومَا هِيَ سياسَتُهُ فِي إدَارَةِ المَكْتَبَةِ.

ومِـنْ خلالِ تجربَتِي اليسـيرَةِ، أحبَبْتُ كتَابَةَ بعضِ الهَمَساتِ حولَ ذلِكَ، فأقُولُ:

١. لا بُدَّ مِنْ كتابَةِ قائِمَةٍ بأسمَاءِ الكُتُبِ التِي ستَنْزِلُ فِي ضيَافَتِكَ.

٢. جمِيلٌ أَنْ تستَشِيرَ شيخَكَ الخبيرَ بِكَ وبمرحَلْتِكَ العلمِيَّة.

٣. لا تسـتَعْجِلْ فِي أَنْ تضُمَّ كتَابـًا لمكتَبَتِكَ إلَّا بَعْدَ أَنْ:

- تعتَقِدَ مناسَبَتَهُ لَكَ.
- تتأَكَّد مِنْ جَودَتِهِ مِنْ ناحِيَةِ المُحْتَوَى.
- الثِّقَةُ بالمُؤَلِّفِ.
- الطبعَةُ المحققَةُ الجديدَةُ.

٤. كنْ ذكيـًا فِي فقـهِ الأولوِيَّاتِ فِي شـرَاءِ الكُتُبِ فكيفَ تشـتَرِي أمَّهَاتِ الكتُبِ الكبارَ وأنْتَ لا زِلْـتَ فِي بدايَةِ الطلـبِ، والأَوْلَى بِـكَ فِي هذَا الوقْتِ شراءُ مَا يساعِدُكَ فِي تأصِيلِكَ العِلْمِيِّ.

٥. يحْسُنُ بِكَ أَنْ تُخَصِّصَ ميزانِيَةً ماليةً للكتُبِ فِي الشهرِ أو كُلَّ ستَّةِ أشهرٍ أو فِي السَّنَةِ.

٦. ينبغِـي أَنْ تحرِصَ علَى زيـارَةِ معارِضِ الكتَابِ لمطَالَعَةِ الجديدِ والاسـتِفَادَةِ منْهُ، والشـراء مِنْهُ بشرطِ الالتِزَامِ بِفِقْهِ الأولوِيَّات.

٧. يجِـبُ أنْ تهتَـمَّ بالترتِيـبِ فِي تفصِيـلِ المكتَبَـةِ مِنْ ناحِيَةِ تصمِيمِ الدولابِ ومناسَـبَةِ الرفوفِ للكتُبِ ولجدرَانِ الغُرْفَةِ.

٨. احرِصْ علَى جمَالِ مكتبتِكَ وحسنِ رائحَتِهَا وجودَةِ التكييفِ فيهَا، فهيَ مسكَنُكَ ومقَرُّ إبداعِكَ ومطالَعَتِكَ.

٩. لا تكُنْ مكتبتُكَ موْضِعًا لتنَاوُلِ الوجَبَاتِ وتغييرِ الملابِسِ، وكُنْ محترمًا لكُتُبِ العُلَماء.

١٠. احذَرْ مِنْ عبثِ إخوَتِكَ الصغارِ أو أطفالِكَ، وكُنْ حريصًا علَى إغلاقِ المكتبَةِ كلَّمَا خرجْتَ منْهَا.

١١. يَجبُ العنَايَةُ بترتِيبِ الكُتُبِ وتنظيمِهَا بشكْلٍ دقيقٍ جداً، فَمَثلاً:

* الدولابُ رَقم (١) للقُرْآنِ والتفْسِيرِ وما يَدْخُلُ فيهِ، وفيهِ أيضًا علومُ القرآنِ، ورسائِلُ

الماجستِيرِ والدكتورَاه المُتَخَصِّصَةُ فيهِ.

* **الدولابُ (٢)** لكُتُبِ الحديثِ ابتَدَاءً بالبُخَارِيِّ وشروحِهِ ومخْتَصَرَاتِهِ والرسائِلِ التِي تعتَنِي بالصحِيحِ وهَكَذَا.

١٢. **اصنَعْ فهْرَسًا لمكتبَتِكَ في جهازِكَ الحاسُوبِيِّ ولا تَقُلْ هَذَا صَعْبٌ**، وأوصيكَ أَنْ تضَعَ خُطَّةً ولو لسَنَةٍ واحدَةٍ للانتِهَاءِ مِنْ ذَلِكَ وسيفِيدُكَ هذا كثيراً جداً.

١٣. **لا تَكُنْ مِمَّنْ يجْمَعُ الكُتُبَ هوايَةً لا للانْتِفَاعِ** فهَذِهِ ليْسَتْ سبيلَ طالِبِ العلْمِ.

١٤. **لا تبَالِ بنَقْدِ بعضِ أفرَادِ أسرَتِكَ أو حَتَّى والديكَ في جَمْعِ الكتُبِ والاستفَادَةِ منهَا**، وقَدْ تسمَعُ مَنْ

يتَّهِمُـكَ بِإِضَاعَةِ المَـالِ أَوِ الوقْتِ فِي الكتُبِ، ولا تواجِـهْ هَذهِ التُّهَمَ بالعِتَابِ، بَلْ تغَافَلْ وكُنْ ذَا مداراةٍ متمَيِّزَةٍ لتكسِبَ محبَتَهُم.

١٥. إذا كنَّا ندعُو للحِرْصِ على اقتنَاءِ الكتَابِ النافِعِ فانتَبِـه مِـنْ صَرْفِ أكثـرِ المَالِ حتَّـى لَا تَقَعَ في الديونِ أَوْ إهمالِ حقوقِ الأسرَةِ أَو ضروريَّاتِ الحيَاة.

١٦. خصِّـصِ الوقـتَ المناسـبَ لدخُـولِ المكتَبَةِ، ولا تُهْمِـلْ حقوقَ أسـرَتِكَ، ويجِبُ أنْ يعرِفُوا مواعيدَكَ حتى لا يحصُلَ خلافٌ مَعَكَ بسـببِ الغَيْرَةِ منَ الكتُبِ، وخاصَّةً مِنَ الزوجَةِ.

١٧. قَدْ يستدعِي الأمرُ أحيانًا تَرْكَ المكتبَةِ لتمريضِ الأسـرَةِ أوِ المُلَاطَفَة، فلا تهْمِلْ ذلكَ، ولا تكنْ حَرْفِيـًا في ترتيـبِ وقتِـكَ، بَلْ كُنْ سـهلاً لينـًا وخاصةً مع أسرَتِكَ.

١٨. احرِصْ علَى الإضاءَةِ الجيدَةِ في مكتبَتِكَ.

١٩. حتَّـى لا تخـرُجَ كثيـراً نوصِـي بوضْـعِ ثلاجَةٍ صغيرَةٍ للمَاءِ والعصَائرِ.

٢٠. إذا كنْتَ مِنْ هواةِ الشايِ والمشروبَاتِ الساخِنَةِ فلتكُنْ لديكَ غلاَّيَةٌ صغيرَةٌ مَعَ أدواتِ الشاي.

٢١. احرِصْ على إيجَادِ سـلَّةٍ للنفَايَـاتِ، وآلة فرَّامَةٍ للوَرَقِ.

٢٢. يَحسُنُ بِكَ وضعُ مِعْلاقِ ملابِسَ خلفَ بابِ المكتبَةِ، فَقَدْ تحتَاجُهُ.

٢٣. احرِصْ على إيجَادِ شاحِنٍ لجوالِكَ في المكتبَةِ حتَّى لَا تُضْطَرَّ للخروجِ مِنْهَا.

٢٤. لا بُدَّ مِنْ وجودِ أقلَامٍ إضافِيَّةٍ احتياطًا، واحْرِصْ علَى تَوَفُّرِ الورَقِ الذي ستكتُبُ فيه بُحُوثَكَ ودَبَّاسَةٍ مَعَ أدواتِهَا.

٢٥. إذَا كانَتْ رفُوفُ المكتبَةِ طويلَةً فلا بُدَّ مِنْ إيجَادِ سُلَّمٍ بالحَجْمِ المُنَاسِبِ لَكَ.

٢٦. عِنْدَ الانتهَاءِ مِنَ الكتَابِ أعِدْهُ لمكانِهِ حتَّى لَا تَتَجَمَّعَ عِنْدَكَ وتحْدُثَ فوضَى عَلَى طَاوِلَتِكَ.

٢٧. يحْسُنُ بِكَ أنْ تقتَنِيَ حقيبَةً صغيرَةَ الحجْمِ وتضَعَ فيهَا: أقلامًا، أوراقَ البُحُوثِ، ملفَاتٍ لتُضُمَّ الأوراقَ، ولتكُنْ هذهِ رفيقَتُكَ فِي سفَرِكَ أو فِي رحلاتِكَ العلمِيَّةِ والدعويَّةِ.

٢٨. أقتَرِحُ عليكَ وَضْعَ لَوْحَةٍ صغيرَةٍ لتَكْتُبَ عليهَا أهدافَكَ العلمِيَّةَ فِي الأشهُرِ القادِمَةِ؛ لأنَّ كثرَةَ رؤيتِكَ لأهدافِكَ ستَقْدَحُ فِي نفسِكَ الهِمَّةَ لإنجازِهَا، ومَنْ جرَّبَ عَرَفَ.

٢٩. إذَا كانَ لديكَ جهازٌ حاسُوبِيٌّ فلتضَعْهُ في مكانٍ مناسِبٍ فِي مكتبَتِكَ حتَّى لَا يزاحِمَ طاوِلَةَ البحْثِ والكتَابَةِ لدَيْكَ.

٣٠. اشترِ طاولَةً للكتابَةِ والبحْثِ ولتكُنْ جيدَةً ومُريحَةً ولا تغفَلْ عَنِ الكُرْسِيِّ المريحِ الذي يسْهِمُ في راحَتِكَ، واحرِصْ علَى الكُرْسِيِّ الطبِّي حِفَاظًا علَى ظهْرِكَ.

٣١. عنْدَ تفصيلِكَ لمكتَبَتِكَ انتبه لـ: جودَةِ الخشَبِ أَوِ الألمنيوم، أوِ الحديدِ، وانتَبِهْ للمقاسَاتِ بيْنَ رفوفِ الكُتُبِ طُولاً وارتِفَاعًا وعُمْقًا، واستَفِدْ منْ كلِّ مكَانٍ فِي غُرْفَتِكَ ليكُونَ مناسِبًا فِي التفْصِيلِ، فَقَدْ تَحْتَاجُ أن تضَعَ دولابًا تَحْتَ النافِذَةِ أوْ تحتَ التكييفِ بسبَبِ ضيقِ الغُرْفَةِ.

٣٢. احـرِصْ علَـى توزيـعِ الأفيَـاشِ الكهربَائِيَّةِ فِي الأمْكِنَةِ المناسِبَةِ، ومنها: جوارَ جهازِ الحَاسِبِ، مـكانَ الإنَـارَةِ التِـي علَـى طاوِلَـةِ المَكْتَـبِ، الطابِعَة، شاحِن الجَوَّال.

وكلمَّا كُنْتَ دقيقًا ومنظمًا سَهُلَ عليكَ الاستِفَادَةُ مِنْ كلِّ الأجهزَةِ لدَيْكَ، وبهَذا تنْجُو مِنَ التوصِيلاتِ الكهربَائِيَّةِ ذَاتِ التمْدِيدَاتِ الطَّوِيلَةِ.

٣٣. اقتَـنِ دولابًـا صغِيـرًا متحـرِّكًا لَهُ عـدَّةُ خانَاتٍ ويُمْكِنُ إغلاقُهَا لِتَضَعَ فيهِ بحوثَكَ، مقالاتِكَ، وَهُـوَ موجُودٌ فِـي المكتبَـاتِ الكُبْـرَى، ولقَدِ اسـتفَدْتُ منهُ كثيراً، وبإمكانِـكَ أَنْ تَضَعَ علَى رأْسِ كلِّ خَانَـةٍ مُلصَقًـا صغيرًا بعنـوانِ الموادِ التِي تُوجَدُ فِيهِ.

٣٤. اكْتُبْ في وصِيَّتِكَ - بَعْدَ موْتِكَ- الجِهَةَ الخيرِيَّةَ التِي تريدُ أَنْ تكـونَ مكتبَتُكَ وَقْفـًا فيهَا، وَقَدْ تكـونُ مكتبَتُكَ مَوْقُوفَةً لطَالِبِ علْمٍ متمَكِّنٍ أو لجامِعَةٍ أو معهدٍ فِي إحدَى الدوَلِ الإسـلَامِيَّةِ المحتَاجَةِ فِي الخَارِجِ.

٣٥. ضَعْ ساعَةَ حائِطٍ مناسِبَةً فِي مكتبَتِكَ.

٣٦. أرى أنْ تُعَـوِّدَ أبناءَكَ زيـارَةَ مكتبَتِـكَ والتَّمَرُّنَ علَى البَحْثِ والمطالَعَةِ والكتَابَةِ لينْشَـأَ لديهِمْ محبَّةُ الكتَابِ والعِلْمِ.

٣٧. إذَا كانَ لديكَ كُتُبٌ متكرِّرَةٌ أو فيهَا سَقطٌ وتريدُ الاسـتِغْنَاءَ عنْهَا فانْزِلْ بهَا لمكاتِبِ بيعِ الكِتَابِ المستعْمَلِ لاستبدَالِهَا بأحْسَنَ مِنْهَا أَوْ بيعِهَا.

٣٨. بعضُ الناسِ يجعَلُ مكتبتَهُ فِي مجلِسِهِ مَعَ الآخَرِينَ، أَيْ: أَنَّهَا فِي مقَرِّ استقبَالِ الضيوفِ وفِي هَذَا نَشْرٌ لثقَافَةِ الكتَابِ وبيانُ الحرصِ على العِلْمِ، ولَكِنِ احذَرْ مِنَ الفُضُولِيِّ.

٣٩. ليَكُنْ لديكَ خِتْمٌ لمكتبَتِكَ لتخْتِمَ كُلَّ كتَابٍ لديْكَ، وبذَلِكَ تتَعَرَّفُ على كتُبِكَ، ولا تخْتَلِطُ كتُبُ الآخرين التِي استعَرْتَها بكتُبِكَ.

ومعَ حرصِكَ علَى الكتُبِ لا تغفَلْ عَنْ أَنَّ العِبْرَةَ بالعَمَلِ وملازَمَةِ التقوَى فِي حالٍ، سدَّدَكَ اللهُ ورَفَعَ قَدْرَكَ.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ واليوْمُ العِلْمِيُّ

كَـمْ ينتابُنِي الفَرَحُ حينَمَا أَجِدُ في حيَاةِ طُلَّابِ العلْم مشـارِيعَ علمِيَّةً وتعليميَّةً ينفعُونَ بهَا أنفُسَـهُمْ أولاً ثُمَّ المُجْتَمَع.

لقدْ كانَتِ المشـارِيعُ عنْـدَ أهلِ العلْـمِ قديمـًا مِنَ المُسَـلَّمَاتِ حتَّى إنَّكَ لَا تكادُ تجدُ عالِمـًا مِنْ علمَاءِ السَّـلَفِ إلا وَقَدْ شَـارَكَ فِي تأليفِ كِتَابٍ أَوْ تلخيصٍ أو شَرْحٍ، ونحوِ ذلكَ مِنْ أنواعِ التأليفِ.

ولعَلَّ مشـروعَ التأليفِ عِنْدَ السَّلَفِ كانَ هُوَ الأبْرَزُ لحاجَـةِ الأُمَّـةِ للتأْليـفِ في زمَنِهِـمْ ولمُواجَهَةِ بعضِ الفِرَقِ المُخَالِفَةِ والرَّدِّ عليهِمْ كمَا فِي كُتُبِ العقَائِدِ.

وإشـارَتِي هُنَا لطُلَّابِ العلمِ فِـي زمنِنَا الحاضِرِ، يا تُرَى هَلْ هناكَ أفْكَارٌ جادَّةٌ لتبَنِّي مشروعَاتٍ كبرَى أو صغْرَى لخدْمَةِ العِلْمِ وأهلِهِ؟

إن إحيَاءَ فكرَةِ المشـارِيعِ فِي نفـوسِ الطُّلابِ مِنَ المهمَّـاتِ، لأنَّنَا فِي زمَـنٍ تكالَبَ فيهِ الأعـدَاءُ علينَا وَغَزَونَا فِي عُقْرِ دارِنَا بالشُّبُهَاتِ والشهَواتِ.

والأمَّةُ التِي تَتَربَّى علَـى العِلْمِ قادِرَةٌ بإذْنِ اللهِ علَى مواجَهَةِ هذَا المدِّ الفِكْرِيِّ.

يا طَالِبَ العِلْمِ دعْنِي أَهْمِسُ لكَ ببعضِ المشـارِيعِ التِي رُبَّمَا تناسِـبُكَ، وهِيَ مختَلِفَةٌ بِلَا شَكّ مِنْ ناحِيَةِ القـوةِ والضعفِ ونوعيَةِ المخَاطَبِيـنَ وغيرِ ذلِكَ مِنْ صُوَرِ الاختِلَافِ.

مشروعُ «اليَوْم العِلْمِيّ»

والفكـرَةُ هِيَ: إعدَادُ عنوانٍ عامٍّ مثْلَ «فقهِ الطهَارَةِ» وتلخِيصُ مسائِلِهِ على أرقَامٍ وعنَاصِرَ لِكَيْ يتِمَّ شرْحُهَا فِي أَحَدِ المَسَـاجِدِ فِي هذِهِ المَدِينَـةِ أوِ المُحَافَظَةِ أَوِ القرْيَةِ، علَى النحوِ التَّالِي «درسٌ قَبْلَ الظُّهْرِ بسَـاعَةٍ، درسٌ بَعْدَ الظهْرِ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ، بعدَ العَصْرِ لمُدَّةِ ساعَةٍ، بَعْدَ المغْرِبِ حتى أَذَانِ العِشَاءِ».

ثم بَعْدَ العِشَاءِ لقَاءٌ مَعَ طلابِ العلمِ الذينَ حَضَرُوا عنْدَكَ مَعَ بَعْضِ جمَاعَةِ المسجِدِ فِي مجْلِسٍ كبيرٍ أو استِرَاحَةٍ لتبَادُلِ الآرَاءِ والمُنَاقَشَةِ.

ثـمَّ تقومُ بتكرَارِ هَـذَا العُنْوَانِ فِي مسـجِدٍ آخَرَ بَعْدَ شَـهْرٍ، وهكـذَا تتَنَـاوَلُ كلَّ شـهرٍ يومًا واحِـدًا فقط، وتُكَـرِّرُ عليهِمْ مسـائِلَ الطهَـارَةِ مَثَـلاً أَوِ الصلاةِ أوِ العَقِيدَةِ.

فلَـوْ تخيَّلْنَا أَنَّ هنَاكَ عشـرَةَ أشـخَاصٍ قامُوا بِهَذا البرنَامِجِ فِي عشْرَةِ مساجِدَ كُلَّ شَهْرٍ، فمعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَـدْ تَمَّ إِقَامَةُ ١٢٠ يومًا علْمِيًّا فِي سـنَةٍ واحِدَةٍ، وهَذَا بِلَا شَكٍّ إنجَازٌ كبيرٌ ونَافِعٌ للنَّاسِ.

۞ وهذَا الأمْرُ يتطَلَّبُ أُمُوراً، وَمِنْهَا:

١. التفْكِيرُ مَعَ بعضِ طُـلَابِ العِلْمِ فِي تِلْكَ المَدِينَةِ أَوِ المُحَافَظَةِ فِي نوعِيَّةِ المَوْضُوعِ الذِي يُحِبُّونَ طَرْحَهُ ويكونُ نفْعُهُ ظاهِرًا لهُمْ ولمجتَمَعِهِمْ.

٢. التنسيقُ مَعَ الوزَارَةِ فِي أخْذِ التَّصْرِيحِ الرسْمِيِّ لذَلِكَ.

٣. الإعدَادُ الجيدُ للمادَّةِ، وقَدْ يكونُ مِنَ الأنسَبِ تلخِيصُ ذَلِكَ فِي مذَكِّرَةٍ ليَتِمَّ توزِيعُهَا علَى الحُضُورِ لتبْقَى تِلْكَ الفَوَائِدِ مَعَهُمْ، ويتَابِعُونَ شرْحَكَ.

٤. مِنْ وجهَةِ نظَرِي أرَى أَنْ يكُونَ العنوانُ علَى شكْلِ مَسَائِلَ ولَيْسَ علَى طريقَةِ شَرْحِ المُتُونِ؛ لأَنَّ أهلَ المُحَافَظَاتِ والقُرَى رُبَّمَا لَمْ يستوعِبُوا طَرِيقَةَ المُتُونِ، والعِبْرَةُ بالفَائِدَةِ.

٥. إنْ كانَتِ المدينَةُ أوِ القَرْيَةُ قريبَةً وسَوْفَ تَذْهَبُ لهَا بَرًّا، فأقْتَرِحُ أَنْ تأْخُذَ بَعْضَ الزمَلَاءِ مَعَكَ ليؤَانِسُوكَ فِي رحلَتِكَ ويقومُوا بمساعَدِتَك فيمَا تحتَاجُهُ.

٦. مِـنَ الجميـلِ الترتِيـبُ مَـعَ بعـضِ التُّجَّـارِ فِي إِحْضَـارِ جَوَائِزَ ليتِمَّ توزيعُهَا عَلَى الحُضُورِ فِي اليومِ العِلْمِيِّ.

٧. قـدْ يكـونُ مِـنَ المُنَاسِـبِ أَنْ يكُونَ هَـذَا اليومُ يوافِقُ يَومَ السبْتِ ولَكِن لوْ تحْضُرُ يَوْمَ الجُمُعَةِ لتخْطُبَ فيهِمُ الجُمُعَةَ ثُـمَّ تقُومُ بإلقاءِ كلمَاتٍ بعـد صـلاةِ العَصْـرِ والمَغْـرِبِ والعِشَـاءِ فِي مسَـاجِدِ المُحَافَظَةِ، وَقَدْ يُنَاسِـبُ الترتِيبُ فِي لقَـاءٍ مَعَ الدعَـاةِ أَوْ حلقَاتِ التحفيـظِ أَوْ زيارَةٍ لمُحَافِظِ المحافَظَةِ، أو للسـجْنِ العَامِ أَوْ لدورِ المُلَاحَظَةِ والأحدَاثِ وغيرِهَا مِنَ البيئَاتِ التِي تحتَاجُ للدَعْوَةِ.

٨. فِي الغَالِبِ أنَّ الحضُورَ فِي اليومِ العلمِيِّ هُمْ مِنَ العَامَّةِ وبعضِ الطلابِ المبتدِئِينَ فينبغِي عليكَ تبسيطُ المَسَائِلِ.

٩. كُنْ قدوةً فِي تعليمِكَ وبَسَاطَتِكَ وتواضُعِكَ واحتمَالِ النَاسِ والصَّبْرِ عليهِمْ، واعلَمْ بأَنَّ أخْلَاقَكَ أقوَى أثَراً مِنْ تعليمِكَ وَشَرْحَك.

١٠. اشحَذْ هِمَمَ الطلابِ والدعَاةِ الذينَ تقابِلُهُمْ للمزيدِ مِنْ خدمَةِ الدعْوَةِ ونفعِ النَّاسِ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ لزيارَتِكَ لتلكَ المُحَافَظَاتِ إلا تثبِيتُكَ للعَامِلِينَ هناك لكفَى بذَلِكَ فضْلاً وَشَرَفًا، فكَيفَ والحَسَنَاتُ والأجُورُ هنَاكَ متنَوِّعَةٌ.

١١. حينَمَا يكونُ سفرُكَ براً فأذَكِّرُكَ بالأجْرِ الذِي يحيطُ بِكَ بِسَبَبِ تلكَ الرحلَةِ العلميَّةِ التعليمِيَّةِ، وتذَكَّرْ رِحْلَةَ نبينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للطائِفِ ليدعُوَهُمْ ويعلمَهُمْ، وقدْ قالَ بعضُ شيوخِنَا: إذَا كانَ السَّلَفُ رحلُوا لأجلِ تحصِيلِ العلمِ فمَا الظَّنُّ بمَنْ يرحَلُ لأجْلِ تبليغِ العِلْمِ ونشرِ الدعْوَةِ؟

١٢. قدْ تبدَأُ باليومِ العِلْمِيِّ فِي مسجِدِكَ الذِي بالقُرْبِ منْكَ، وتنتَقِلُ فِي مدينَتِكَ فِي كُلِّ شهْرٍ لجوامِعَ متفرِّقَةٍ.

١٣. ليسَ شَرْطًا أَنْ يكونَ اليومُ العلْمِيُّ خاصًا بالعُلُومِ الفقهِيَّةِ، بَلْ قَدْ يناسِبُ أنْ يكونَ يومًا عَنِ القُرْآنِ «فَضَائِلُ، آدابٌ، أحكَامٌ، قِصَصٌ

عنْ أهلِ القُرْآنِ»، وقدْ يكونُ العنوانُ «أسـرَتي» وتتَحَدَّثُ عَنْ «وصايَا للزَّوجِ، وصايَا للزوجَةِ، تربيةُ الأبنَاءِ، قصصٌ للناجِحِينَ أسريـًا» وهكَذَا فكِّرْ في عنوانٍ يمْكِنُ تقسيمُهُ لأربَعِ فتَرَاتٍ «قَبْلَ الظهرِ وبَعْدَ الظُّهْرِ وبَعْدَ العَصْرِ وبَعْدَ المَغْرِبِ».

١٤. أقْتَـرِحُ توثيقَ الـدروسِ بالتصويـرِ لرفعِهَا علَى اليوتيوب لينْتَفِـعَ الناسُ منْهَا مسـتَقْبَلاً، وَحَتَّى تعْرِفَ طريقَةَ شـرحِكَ ومَدَى جَوْدَةِ الأَدَاءِ منْ جميعِ جوانِبِهِ سمْعِيـًا وبَصَرِيـًا وعِلْمِيـًا.

١٥. كنْ ذكيـًا فِي التَّفَرُّسِ في الطلَّابِ الذينَ يحضُرونَ عنْدَكَ فـإنْ رأيْتَ طالِبـًا متميـزاً فاحرِصْ علَى شحْذِ همَّتِهِ وأخْذِ رقمِهِ والتواصُلِ معَهُ لاحِقـًا ومتابَعَةِ مسيرَتِهِ العلمِيَّة.

١٦. قـدْ يكـونُ الحضُورُ قليـلاً فَلا تقْلَـقْ، ولا تَكُنْ مِمَّـنْ يَبْحَـثُ عَـنِ الأعـدَادِ، وتَذكَّـرْ أَنَّـهُ يأتِي نَبِيٌّ يـومَ القِيَامَةِ وليـسَ مَعَهُ أَحَـدٌ، وهذَا نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بَعْـدَ أنْ قضَـى ٩٥٠ سـنَةً في الدعوَةِ إلَـى اللهِ تكونُ النتيجَةُ ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود: آية ٤٠].

١٧. حينَمَا تعودُ لبلدِكَ، قُـمْ بتحفِيزِ الدعَاةِ وطُلابَ العلْمِ مِنْ زملائِكَ لزيارَةِ القُرَى والمحَافَظَاتِ، وانقُلْ لَهُمْ تجربَتَكَ لعَلَّكَ تكونُ قدوَةً حسَنَةً في هذَا البَاب، لأَنَّ بعضَ طُلَّابِ العلْمِ لمْ يتَحَرَّكْ فِي السَّفَرِ الدعويِّ وللأسَفِ الشدِيدِ.

١٨. خِتَامـًا، اعلَـمْ أَنَّ الـذِي وفَّقَـكَ لهَـذَا العَمَـلِ الدعـويِّ والتعليمِيِّ هُـوَ اللهُ تعالَـى وَهُوَ الذِي يتقَبَّلُهُ منْكَ تفَضُّلاً مِنْهُ سـبحَانَهُ، فاشْـكُرْ رَبَّكَ وتَبَرَّأْ منْ حولِكَ وقوتِكَ واسْأَلْهُ القَبُولَ.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ وقِصَصُ العُلَمَاءِ

مِنَ اللافِتِ لنَظَرِكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ وأنْتَ تَنْظُرُ فِي كُتُبِ السَّلَفِ أَنْ تَجِدَ عشَرَاتِ الكُتُبِ التِي تعتَنِي بالكَلامِ عَنْ سِيَرِ العُلَمَاءِ وأخبَارِهِمْ، وَعَلَى سبيلِ المثَالِ لَا الحَصْرِ: سيرُ أعْلَامِ النُّبَلاءِ، طبَقَاتِ الشافِعِيَّة، طبَقَاتُ الحنَابِلَة، والكُتُبُ المتخصِّصَةُ فِي سِيَرِ الأَئِمَّةِ «مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ أَوْ مناقِبُ أحمَد».

كلُّ ذلكَ قَد امتَلَأَ بعشَرَاتِ القِصَصِ والحكَايَاتِ عَنْ أولَئِكَ العُلَمَاءِ، فلمَاذَا يَا تُرَى كَتَبَ العُلَمَاءُ كلَّ تِلكَ القِصَصِ؟

إنَّ القِصَّةَ التِي تُرْوَى عنِ العَالِمِ تصْنَعُ الشَّيْءَ الكثيرَ لَدَى طَالِبِ العِلْمِ المميَّزِ.

إنهَا تحْدِثُ فِي داخِلِكَ انطَلَاقَةً نَحْوَ العَزْمِ والجِدِّ والطُّمُوحِ.

كَمْ نَحْنُ بحاجَةٍ للنظَرِ فِي حيَاةِ العُلَمَاءِ والتَّأَمُّلِ فِي سِيَرِهِمْ، ورَبُّنَا يقولُ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾

[سورة يوسف: آية ١١١].

كَمْ نحنُ بحَاجَةٍ إلَى أَنْ نكتُبَ قصصًا مِنْ حيَاةِ العُلَمَاءِ الذينَ عاصرْنَاهُمْ لنَنْشُرَ سيرتَهُمْ ونُحَفِّزَ النُّفُوسَ للاقتِبَاسِ مِنْ نورِهِمْ وهديِهِمْ.

كَمْ مِنْ قِصَّةٍ دَفَعَتْ نَفْسًا للأَمَامِ، وقديمًا قَالَ أَبُو حنيفَةَ: الحِكَايَاتُ عَنِ العُلَمَاءِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ كثيرٍ مِنَ الفِقْهِ؛ لأنَّ فيهَا التثبيتُ، ثُمَّ استَدَلَّ بِقَوْلِهِ تعالَى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾

[سورة هود: آية ١٢٠].

فيا طَالِبَ العِلْمِ، خصِّصْ جزْءًا مِنْ وقتِكَ لمطَالَعَةِ سيرِ النُّبَلاءِ والعلمَاءِ والحكمَاءِ، لَعَلَّ هِمَّتَكَ أَنْ تَسْمُوَ نحْوَ العُلَا ولَعَلَّكَ تَلْحَقُ بالرَّكْبِ.

فاتَنِـي أَنْ أرَى الديَـارَ بعَيْنِـي
فَـلَـعَـلِّـي أَرَى الـديَـارَ بِسَمْعِي

❋❋❋

١٥ وصيةً لطَالِبَاتِ العِلْمِ

مرحبـًا بتلْـكَ الفئَةِ مِـنْ فتيَاتِنَـا اللواتِي اشـتَغَلْنَ بالعِلْـمِ النَّافعِ، علْمِ الكِتَابِ والسُّـنَّةِ، ولتَسْـمَحْنَ لِي بأَنْ أهمِسَ لَكُنَّ ببعْضِ الهمسَاتِ التِي تفيدُكُن بإذْنِ اللهِ فِي مسيرَتِكُنَّ العلمِيَّةِ.

١ - بيـنَ وقْـتٍ وآخَرَ افرحِي بسـلُوكِ طريقِ العِلْمِ وجدِّدِي فِي نفْسِكِ الثبَاتَ علَى العِلْمِ، وتذكَّرِي قولَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ سَلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إِلَى الجَنَّةِ» رواه مسلم.

٢ - عليكِ بالإخْلَاصِ فِي طريقِ العِلْمِ، فالإخْلَاُص هُوَ سِـرُّ التوفِيقِ الربَّانِيِّ لَكِ، قَالَ تَعَالَى ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [سورة محمد: آية ٢١].

٣- ابذُلِي همَّتَكِ فِي الازدِيَادِ مِنْهُ حَسْبَ وقتِكِ وطاقَتِكِ والإمكانِيَّاتِ المتوفِّرةِ لديْكِ، ولا تعتَذِري بالظُّروفِ، فعِنْدَ البحْثِ ستجِدِينَ عِدَّةَ خيارَاتٍ.

وتأمَّلِي هَذِه المَجَالَاتِ:

* الدروسُ الصوتِيَّةُ فِي الانتَرنِت.
* التسجيلُ فِي البَرَامِجِ العلمِيَّةِ وَهِيَ كثيرَةٌ فِي الإنترنِت.
* الدُّرُوسُ عبرَ الواتس أو التيجرام التِي انتَشَرَتْ فِي الفَتْرَةِ الأخِيرَةِ.
* حضُورُ الدرُوسِ فِي المَسَاجِدِ حَسْبَ التَّيْسِيرِ.
* القراءَةُ الحُرَّةُ ثُمَّ تسجيلُ الأسئِلَةِ التِي تَرِدُ عليكِ وتخصِيصُ وقتٍ لسؤَالِ أهْلِ العِلْمِ عبْرَ الواتسِ ونَحْوِهِ.

* متابَعَةُ البَرَامِجِ العلميَّةِ المُحَفِّزَةِ للتَعَلُّمِ والقِرَاءَةِ.
* متابَعَةُ المَوْاقِعِ الإسْلَامِيَّةِ عَبْرَ الإنترنتِّ.

٤- يا طَالِبَةَ العِلْمِ، أنْتِ تعلَمينَ مَدَى الهَجْمَةِ على المَرْأَةِ فِي هذَا الزمَنِ، ولَا شَكَّ أنَّ العِلْمَ هُوَ النُّورُ الذِي يضِيءُ لَكِ الطرِيقَ فِي كيفِيَّةِ مواجَهَةِ هذِهِ الهَجَمَاتِ.

٥- وأنتِ فِي طريقِ التَّعَلُّمِ لا تتَخَلَّيْ عَنْ أُنوثَتِكِ وحيائِكِ وفطرَتِكِ وحافِظِي علَى كُلِّ ذَلِكَ.

٦- فِي تعَامُلِكِ مَعَ عامَّةِ النِّسَاءِ ستجِدِينَ مَنْ تُزَهِّدُكِ فِي العِلْمِ إمَّا تصريحًا أَوْ تلمِيحًا، فَلَا تستَغْرِبِي فهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ.

٧- اصبِرِي عَلَى طريقِ العِلْمِ والعمَلِ، وللصبْرِ حلَاوَةٌ تبينُ فِي العَوَاقِبِ، وَمَنْ يتَصبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ جدَّ وَجَدَ، وَلَيْسَ مَنْ سَهِرَ كمَنْ رَقَدْ.

٨- لا يُخَالِفْ قولَكِ فِعْلَكِ، فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ تَأْمُرِي البنَاتِ بالأخلاقِ الحَسَنَةِ وأنتِ قاسَيَة فِي التَّعَامُلِ مَعَهُنّ؟

٩- مَعَ زَوْجِكِ، كُونِي الزوْجَةَ الجميلَةَ الرائِعَةَ فِي نفسِكِ وملابِسِكِ وبيتِكِ وكُلِّ شيءٍ، ولا تجعلِي زوْجَكِ يشعُرُ أَنَّ العِلْمَ أخذَكِ مِنْهُ.

١٠- قَدْ تحتاجِينَ للرِّجَالِ فِي سؤَالٍ ونحْوِهِ، فاسلُكِي أَدَبَ السؤَالِ واختِيَارِ الوقتِ المنَاسِبِ والطريقَةِ المُثْلَى.

١١- اذهبِي للمكتبَاتِ العِلْمِيَّةِ ومعارِضِ الكتَابِ بينَ وقتٍ وآخَرَ وتابِعِي الجديدَ والمفيدَ مِنَ الكُتُبِ، وَمِنْ مزايَا هَذِهِ الزيَارَاتِ - غيرَ الاستفَادَةِ العلمِيَّةِ -، أَنَّهَا تُبقِي الانتمَاءَ العِلْمِيَّ والحمَاسَ المعرِفِيَّ حاضِراً فِي نَفْسِكِ.

١٢- لخِّصِي الفَوَائِدَ المُهِمَّةَ التِي استفدتِيهَا منْ قراءَةٍ أَوْ استِمَاعٍ، واكتبيهَا فِي رسالَةِ واتس، وانشريهَا عَلَى الأَخَوَاتِ، ولْتَكُنْ فوائِدُكِ متميزةً جداً، وزاحمِي بكنوزِكِ جوالَاتِ البنَاتِ، فَقَدِ امتَلَأَتْ كَمَا تعلمِينَ بِبَعْضِ التفَاهَاتِ، واللهُ المستَعَانُ.

١٣- شارِكِي بالكِتَابَةِ فِي المَوَاقِعِ الإسلامِيَّةِ، فاكتبِي مقَالاً فِي الشَّهْرِ، أو قصَّةً وقَعَتْ لَكِ، واجعلِي مقَالَكِ مُؤَثراً نَافِعًا، لعَلَّهُ يعالِجُ خَلَلاً، أَوْ يثبتُ فتَاةً، أَوْ يُرْشِدُ حَائِرَةً.

١٤- إنَّ العِلْمَ كثيرٌ، فاحرِصِي علَى أَنْ تأخُذِي أُصُولَ العِلْمِ ومهِمَّاتِ المسَائِلِ فِي العقيدَةِ والعبَادَاتِ، ثُمَّ خُذِي شَيئًا مِنْ أَحْكَامِ المَرْأَةِ وخصائِصِهَا الفقهِيَّةِ،

وطالِعِي شيئًا مِنَ الأدَبِ والتربِيَةِ والأُسْرَةِ؛ لأَنَّ هذه المعلومَاتِ مِنْ أَهَمِّ المُهِمَّاتِ بالنِسْبَةِ لَكِ.

١٥- ساهِمِي فِي المُشَارَكَةِ فِي مَوَاقِعِ التواصُلِ، وانشُرِي الفَائِدَةَ الجميلَةَ والمُفِيدَةَ، ولا يَصِحُّ أَنْ نَتْرُكَ هذَا البَابَ للفارِغينَ وأَهْلِ البَاطِلِ الذينَ ينشرُونَ الفَسَادَ بِأَلْوَانِهِ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ ينفَعَ بِكِ الإسلامَ والمُسْلمين.

❋❋❋

طَالِبُ العِلْمِ والدّعْوَةُ

يسأَلُ بَعْضُ طلابِ العلمِ ويقولُ: كيفَ أَجْمَعُ بينَ العِلْمِ والدعوَةِ؟

والجوابُ المختَصَرُ لهذِهِ المسألَةِ يمكِنُ تلخِيصُهُ فيمَا يلِي:

ليسَ هنَاكَ أيُّ تعارُضٍ فِي هذِهِ المسْـأَلَةِ، وإِنْ ظَنَّ بعـضُ المبتدِئِينَ فِي طلَـبِ العِلْمِ أَنَّ هنـاكَ تعارُضًا فهَذَا غَيْرُ صحِيحٍ.

إِنَّ الذي ينظُرُ لمنهَـجِ الصحَابَةِ رضوانُ اللهِ عليهِمْ لا يَجِـدُ أَنَّ هَـذَا الإشـكَالَ كانَ موجـوداً أَوْ أنَّ هَـذَا السؤَالَ كَانَ مَطْرُوحـًا.

وَمِنَ المؤكَّـدِ أَنَّهُ لابُدَّ أَنْ يكونَ العِلْمُ قبلَ الدعْوَةِ، بمعْنَـى ألا تَدْعُوَ إِلَى شـيءٍ إلا وأنْـتَ تعْلَمُهُ، ولهَذَا قـالَ البخَارِيُّ فِي صحيحِـهِ: بابُ العِلْمِ قَبْـلَ القَوْلِ والعَمَلِ، وهذَا تأكِيدٌ مِنْهُ رَحمَهُ اللهُ تعالَى إِلَى ضرورَةِ العنَايَةِ بالعِلْمِ قبلَ أَنْ تعْمَلَ بِأَيِّ عَمَلٍ.

مثال:

لَا تَأْمُرِ الناسَ بشـيءٍ مِنَ الخيـرِ إِلَّا وأنْتَ تعلَمُ أَنَّهُ جَاءَ الحَثُّ عليهِ فِي الكتَابِ أَوِ السُّنَّةِ.

تنبيه:

لا يُشْـتَرَطُ فِـي الداعِيَةِ أَنْ يحيطَ بجميعِ المَسَـائِلِ الفقهيَّـةِ ولَا بأكثرِهَـا، إنَّمـا الوَاجِـبُ أنْ يتكَلَّـمَ فِي المسْأَلَةِ التِي عِنْدَهُ بعلْمٍ صحيحٍ وبَيِّنَةٍ واضِحَةٍ.

مهمّات:

١. عنْدَمَـا تجْلِسُ فِي مجلسٍ فيهِ عامَّةُ النَّاسِ وتبدَأُ بإلقَاءِ كَلِمَةٍ توجيهيَّةٍ، فتكَلَّمْ بِمَا تعْلَمُ ولا تُفْتِي فِي المَسَائِلِ التِي لا تعْلَمُهَا.

٢. تَذَكَّرْ أنَّ الناسَ يحتاجُونَ إلَى أبْسَـطِ المَسَـائِلِ فاحْرِصْ علَى ضبطِهَا.

٣. عليكَ بطَلَبِ العلْمِ النافعِ فهُوَ الذِي يُبَصِّرُكَ فِي طِريقِ الدَّعْوَةِ، ولهذَا قالَ سفيانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أحْوَجُ النَّـاسِ إلَى العِلْمِ أعْلَمُهُمْ بِأَنَّ الخطَأَ مِنْهُ أقْبَحُ، والمقصُـودُ العُلَمَاءُ والدُّعَاةُ؛ لأَنَّ الخَطَأَ مِنْهُمْ لَيْسَ كالخَطَـأِ مِنْ غيرِهِمْ، والجَهْلُ منْهُمْ ليسَ كالجَهْلِ مِنْ غيرِهِمْ.

٤. يجبُ علَى طَالِـبِ العِلْمِ أَنْ يحتَـرِمَ الدعَاةَ ولا يُقَلِّلَ مِنْ شـأنِهِمْ لأنَّهُمْ علَى ثَغْرٍ عظيمٍ في تبليغِ الدينِ وتعليمِ النَّاسِ.

❋❋❋

المشايخُ وكُنُوزُهُمُ العِلْمِيَّة

هذِهِ ومضَةُ عتَابٍ لشيوخِنَا أصحَابِ القِرَاءَةِ، الذينَ قَضَوْا حياتَهَمْ بينَ الكتُبِ والمَكْتَبَاتِ.

أنـا أعلَمُ أنَّ لديكُمْ عشـراتِ الفوائِـدِ المُدَوَّنَةِ فِي أغْلِفَةِ كتُبِكُمْ، ولَعَلَّ بعضَهَا فِي أوراقٍ أَوْ فِي أجهِزَتِكُمُ الذكيَّـةِ كالآيبادِ ونحْوِهِ، ولكِنْ يَا ترى متَى تُخْرِجُونَ تِلْكَ الفوائِدَ للنَّاسِ؟

إنَّ الأشـغالَ لَا وَلَنْ تنتَهِيَ، فاجتهِدُوا فِي تخصيصِ شيءٍ مِنْ وقتِكُمْ لترتيبِ تلكَ الفوائِدِ وإخراجِهَا للنَّاسِ.

ويمكنُكُـمْ إرسَـالُ تلـكَ الفَوائِدِ لبعْـضِ المَواقِعِ النَّافِعَـةِ عَبْـرَ الإنترنِت، المُهِـمُّ أَنْ تُخْرِجُـوا لَنَا تِلْكَ الكُنُوزَ.

ومضَة:

قالَ الشيخُ عَلِيُّ العِمْرانُ: قالَ لِي شيخُنَا بكرُ أبو زيدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّهُ كانَ يُكَلِّفُ بعْضَ أبنَائِهِ بِجَرْدِ الفوائِدِ المُقيَّدَةِ علَى أغلِفَةِ الكتُبِ، وكلُّ فائِدَةٍ مقابِلُهَا ريال.

(اقرأ وارق ص ٦٨).

❋❋❋

أسبَابُ الفُتُورِ العِلْمِيِّ

في مجتَمَعِ طُلَّابِ العلم تشَاهِدُ بَعْضَ الشبَابِ الذين كانُـوا علَى تَمَيُّـزٍ فِي طلَبِ العِلْمِ، ولكـنَّ المصيبَةَ أَنَّ بعضَهُـمْ هَجَرَ مجَالسَ العِلْمِ، والبَعْضُ تَرَكَ القِرَاءَةَ، ومِنْهُمْ مَنْ بَاعَ مكتبَتَهُ.

يا تُرَى لمَاذَا وقعُوا فِي الفُتُورِ العِلْمِيِّ، وما الأسبَابُ التِي تجعَلُ بعضَ الطلابِ يترُكونَ العِلْمَ؟

بعدَ البَحْثِ والسؤَالِ تَوَصَّلْتُ لبعْضِ الأسبَابِ:

١ - ضَعْفُ الرغْبَةِ مِنَ البدَايَةِ؛ لأنَّ الرغْبَةَ والحَمَاسَ والشـغَفَ بالعِلْمِ تختَلِفُ مِنْ شـخْصٍ لآخَرَ، فَكُلَّمَا كانَـتِ الرغْبَةُ قويَّـةً وتَعَاهَدَهَا صاحِبُهَا بـذكاءٍ، بَقِيَ حمَاسُهُ للعِلْمِ لسنواتٍ طَويلَةٍ.

والـدواءُ لهَذَا أَنْ يُراجِعَ مَـا كتبَهُ العلمَاءُ عَنْ فَضْلِ العلْـم، ويجَاهِدُ نَفْسَـهُ عليـهِ، قـالَ تَعَالَى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت: آية ٦٩].

٢- التقْلِيدُ فِي العِلْم، وأقْصِدُ بذلِكَ أَنَّ صاحِبَنَا لَمْ يسـلُكْ طريقَ العِلْمِ رغبَةً مِنْ قلبِهِ وقناعةً بفضْلِهِ، بَلْ سَلَكَهُ تقليداً لشيْخِهِ، أَوْ لأصحَابِهِ الذينَ كانَ مَعَهُمْ، فلمَّا شـاهدَهُمْ فِي الـدروسِ العلمِيَّةِ جلَـسَ مَعَهمْ، ولمَّا رآهمْ يشترُونَ الكُتُبَ، اشترى مثْلَهُمْ، ولكنَّهُ - فِـي الحقيقَـةِ - لا تُوجَدُ لديْهِ القنَاعَـةُ الذاتِيَّةُ بأهمِيَّةِ العِلْمِ، وهذا فِي الغَالِبِ لا يستَمِرُّ علَى العِلْمِ.

والحَلُّ لِهَذا أَنْ يتعَلَّقَ بالعلْمِ وليسَ بالأشـخَاصِ وأَنْ يثْبُتَ علَى طريقِ العلمِ، وسَوْفَ يفتَحُ اللهُ عليْهِ.

٣- ضعـفُ الإخْـلَاصِ والتجـرُّدِ للهِ تعَالَى، وهذَا السبَبُ يؤثِّرُ بشـكْلٍ كبيرٍ فِي الثبَاتِ علَى العِلْمِ، لأَنَّ الإخْلَاصَ هُوَ الزَّادُ الحقيقِيُّ للانتِفَاعِ بالعلمِ والثبَاتِ عليْهِ، وعلَـى قَدْرِ قوَّةِ الإخلاصِ يكـونُ التوفِيقُ فِي العِلْمِ والانتِفَاعِ بِهِ.

والحَـلُّ لهَـذَا أَنْ يُرَاجِعَ نيَّتَـهُ، ويجَـدِّدَ إخلاصَهُ، ويَسْأَلَ رَبَّهُ النِيَّةَ الصادِقَةَ.

٤- ملازَمَةُ الكُسَـالَى الذينَ لا رَغْبَةَ لَهُمْ فِي العِلْمِ، ولا شَـكَّ أَنَّ الشـخْصَ يتأَثَّرُ بمنْ يُجَالِـسُ، والطِبَاعُ سـرَّاقَةٌ، وكَمْ رأيْنَا مِنْ طـلابٍ للعِلْمِ هَجَـرُوا العلْمَ بسبَبِ بُعْدِهِمْ عَنْ أَهْلِ العِلْمِ.

ودواءُ هـذَا الـدَّاءِ فِـي ملازَمَـةِ الشـيوخِ وطُلَّابِ العلـمِ الجادِّيـنَ، وبالتجربَةِ فمـنْ يلازِمُهُمْ سيشْـعُرُ بحمَاسٍ شـديدٍ للعلـمِ فِي كُلِّ لقَاءٍ، لأنَّـهُ يرى فيهِمُ العلمَ، ويسـمَعُ منْهُمُ الفوائِدَ، والجديدَ مِنَ الكُتُبِ، والاطروحَاتِ وغيرِها مِنَ المُشَوِّقَاتِ العِلْمِيَّةِ.

٥- ضَعْـفُ العمَـلِ بالعِلْمِ، والشـعورُ بأنَّـهُ حِمْلٌ ثقيلٌ، يجعَـلُ المرءَ يتَقَلَّـلُ منهُ حتى يترُكَـهُ بالكلِّيَّةِ، والجـوابُ عَنْ هَذا بأَنْ نَقُـولَ إنَّنَا لا يمْكِنُنَا أَنْ نعمَلَ بكل شيءٍ، والعِبْرَةُ بالمجاهَدَةِ، وربُّنَا يقولُ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: آية ١٦].

٦- الانشـغَالُ بمواقِعِ التواصُلِ عـنْ طَلَبِ العِلْمِ، وقَدْ يعتَذِرُ هذَا بمتَابَعَةِ الأخبَارِ والمشَاهِيرِ أوِ الواقِعِ

ونحْـوِ ذلكَ، وكلُّهَا أعْذَارٌ واهيَةٌ، لأنَّ العلمَ لا يعدِلُهُ شيءٌ، ومَنْ أرادَ متابَعَةَ الواقِعِ، فإنَّهُ يستطِيعُ مِنْ خِلَالِ ترتيبِ وقتِهِ، لَا أَنْ يترُكَ العِلْمَ بالكلِّيَّةِ.

ومنْ تجربَتِي مَعَ الجوَّالِ أَنِّي أُقْفِلُهُ فِي ساعَاتٍ مِنْ يومِي، مَثَلاً بَعْدَ العِشَاءِ حتَّى الفَجْرِ، في بعضِ الأيَّامِ، وفي يومَي الإجَازَةِ أُقْفِلُهُ مِنَ الفجرِ حتَّى الظُّهْرِ، وفِي ذَلِكَ الوقتِ أَجِدُ نفسِي قضيتُ وقتًا مُمْتعًا مَعَ العلمِ بدونِ أنْ اشتَغِلَ بمَواقِعِ التَّوَاصُلِ.

٧- الانهمَاكُ فِي الأعمَـالِ الدنيويَّةِ بدونِ الترتِيبِ لهَا والموازَنَةِ بينَ المُهِمِّ والأهَمِّ والفاضِلِ والمفْضُولِ، فهَـذَا تَـزَوَّجَ ثُمَّ تَـرَكَ العِلْمَ، وهَـذَا توظَّفَ ثُـمَّ تَرَكَ العِلْـمَ، وهَذَا دَخَلَ فِي مشـروعٍ تِجَارِيٍّ ثُـمَّ زَهَدَ في

العِلـمِ، والحَلُّ لهَذَا أنْ يُرَتِّبَ وقتَهُ ويوازِنَ بينَ العلمِ وبينَ الحُقُوقِ الأخرى كالأسْـرَةِ والتجَارَةِ وغيرِهَا، والدنيـا بِكُلِّ أشـغَالِهَا ليسَـتْ عـذْراً في التقصيرِ فِي العِلْـمِ، فهَذِهِ سـيرَةُ الصحَابَـةِ وَهُمْ مِنْ أهْـلِ العِلْمِ، كَانَ البعْضُ منْهُمْ يُتَاجِرُ ويطْلُبُ العلمَ، وهكَذَا سِـيَرُ العلمَـاءِ علَى مَرِّ التارِيخِ، والقَاعِدَةُ النبَوِيَّةُ (أعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه).

٨- التقصِيرُ فِي تعليمِ النَّاسِ، وهَذَا يَجْعَلُ الطالبَ لا يشـعُرُ بحاجَةِ الناسِ لِمَا عندَهُ، ومِنْ ثَمَّ يبدَأُ يقَصِّرُ في العلْمِ، وأمَّا طالِبُ العلْمِ المشتغِلُ بالدعْوَةِ فتجِدُهُ منهمِكًا بشدَّةٍ فِي التعَلُّمِ والتحضِيرِ ومُرَاجَعَةِ المسائِلِ والفتَـاوَى؛ لأنَّـهُ يواجِـهُ النَّـاسَ ويسـمَعُ أسـئِلَتَهُمْ

ومشكلاتِهِمْ فيبحثُ عن أجْوِبَةٍ لهَا، لأنَّهُ يريدُ نفعَهُمْ وتعليمَهُمْ، وهذِهِ مِنْ بَرَكَةِ العلمِ أَنْ تكونَ حريصاً عَلَى تعليمِ النَّاسِ.

وقدْ قالَ الأوَّلُ عَنِ العِلْمِ:

يزيدُ بكثْرَةِ الإنفَاقِ مِنْهُ
وينْقُصُ إنْ بِهِ كفًا شدَدْتَا

وقدْ وعَدَ اللهُ عبادَهُ المحسنِينَ بالزيَادَةِ، والعِلْمُ هُوَ أعْلَى صورِ الإحسانِ، قالَ تَعَالَى ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: آية ٥٨].

٩- تزهيدُ النَّاسِ في العِلْمِ، فقد نجدُ طالبًا للعِلْمِ يعانِي مِنْ أُسْرَتِهِ التِي تُزَهِّدُهُ فِي العلمِ، ورُبَّمَا عاتَبَتْهُ علَى تِلْكَ الكُتُبِ التِي يشتَرِيهَا، أوْ تلكَ الدروسِ

التـي يحضُرُهَـا، فيستَجِيبُ لذَلِـكَ العتَـابِ ويترُكُ التعلُّمَ، وكانَ الواجِبُ عليـهِ ألَّا يلتَفِتَ لِهَذَا التزْهِيدِ وأَنْ يُجَاهِدَ نفسَـهُ علَى الثبَـاتِ وأَنْ يعتزَّ بالعِلْمِ ولا يتنَازَلَ عنْهُ عِنْدَ أدْنَى عتَابٍ يأتيهِ.

١٠ - التَّشَـدُّدُ فِي طَلَـبِ العلْـمِ في البِدَايَاتِ، فهَذَا يعتَـزِلُ النَّاسَ فِـي بدايَاتِهِ ويشـتَرِي مئـاتِ الكُتُبِ، ويجْلِسُ بالساعَاتِ علَى القِرَاءَةِ، هكَذَا بِكُلِّ حمَاسٍ، ولكنَّهُ بَعْدَ أيامٍ يشعُرُ بالمَلَلِ، ويكتَشِفُ أَنَّهُ علَى خَطَأٍ، فيتْرُكُ العِلْمَ.

والحَـلُّ أَنَّهُ بعدَ اكتِشَـافِ خطَئِـهِ، أَنْ يعودَ ويرتِّبَ وقتَـهُ، ويخصِّـصَ وقتًا للعلـمِ وأوقاتًـا لاهتِمَامَاتِهِ الأخرَى، ولا يُكْثِرَ مِنَ الاشتِغَالِ بالعِلْمِ فِي البدايَاتِ،

لأَنَّ القاعِدَةَ النَبوِيَّةَ (أَحَبُّ العَمَلِ إلى اللهِ أدومُهُ وإِنْ قَلَّ) رواهُ البُخَارِيُّ.

والسَّلَفُ يقولُونَ: مَنْ طلبَ العلمَ جُمْلَةً ذهبَ عَنْهُ جملَةً، والعِلْمُ يأتِي مَعَ الأيامِ واللَّيَالِي.

١١- الإصرَارُ علَى الذنُوبِ تمحَقُ بَرَكَةَ العلْمِ وتُذْهِبُ حلاوَتَهُ،

ونحْنُ لانَقْصِدُ أنَّ طالِبَ العلْمِ لابُدَّ أنْ يكونَ معصُومًا فَهَذَا مُحَالٌ، ولَكِنَّ طالِبَ العلْمِ يجِبُ أنْ يكُونَ أتْقَى مِنْ غيرِهِ لأَنَّهُ أعلَمُ مِنْ غيرِهِ، والعِلْمُ يورِثُ الخَشْيَةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر: آية ٢٨] فَهَلْ يليقُ بِرَجُلٍ يَحْفَظُ القرآنَ أو بعضَهُ ويقْرَأُ عشراتِ الكُتُبِ ويَحْضُرُ الدرُوسَ أَنْ يكونَ مُصِرّاً علَى كبَائِرِ الذُّنُوبِ؟

نعم، قَـدْ يخطِـئُ ويذنِبُ وربَّمَـا وَقَعَ فِـي كبيرَةٍ، ولَكِنَّهُ يعُودُ سـريعـًا ويستَغْفِرُ ربَّهُ لأَنَّ لديهِ مِنَ العِلْمِ ما يُذَكِّرُهُ بربِّهِ ويعيدُهُ إِلَى التقْوَى.

نسألُ اللهَ الثَّبَاتَ علَى العِلْمِ والعَمَلِ.

❊❊❊

مواطِنُ القدوَةِ في شَخْصيّةِ البُخَارِيِّ

الذِي ينظُرُ فِـي حيَاةِ علمَاءِ السَّـلَفِ يجِدُ العَجَبَ فِي تَنَوُّعِ التَّمَيُّزِ فِي حياتِهِمُ العلمِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ، وسوفَ نَأْخُـذُ رمزاً مِنْ علمَاءِ السـلَفِ ونتَأَمَّلُ في ملامِحَ مِنْ شخصِيَّتِهِ وبعضِ مواطِنِ القدوَةِ فِي حيَاتِهِ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى.

إنهُ الإمَـامُ مُحَمد بنُ إسـماعيلَ البخَارِيُّ صَاحِبُ الصحِيحِ المَشْهُور.

وهنَا لَنْ أتَحَدَّثَ عَنْ ترجمَتِهِ وتفاصِيلِ ذلِكَ ولَكِنْ سـأدْلُفُ مُبَاشَـرَةً لجوانِبِ القدوَةِ فِي حيَاتِهِ العلمِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ.

أولاً: الترتيبُ والتنظيم:

حينمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ كتَابِ صحيح البُخَارِيِّ، نجِدُ أَنَّهُ جَلَسَ فِي تصنِيفِهِ ستةَ عشَرَ عامًا، وَعِنْدَ التَأَمُّلِ ستَجِدُ مبدَأً مهِمًّا وهُوَ التنْظِيمُ لتِلْكَ الأوراقِ، فكيفَ كانَ يضَعُهَا وأينَ؟ ولمَاذَا لَمْ تَخْتَلِفْ وَرَقَةٌ عنْ أُخْرَى؟ إنَّنَا نَتَحَدَّثُ عنْ زَمَنِ المخطَوطَاتِ وعشَرَاتِ الآلافِ مِنَ الأحَادِيثِ.

إنَّ ذلكَ الزَمَنَ ليسَ زَمَنَ الحاسُوبِ ولا الجَوَّالَاتِ ولا برامِجِ حفْظِ النصُوصِ، وهَذَا التنظِيمُ الدقيقُ ينطَبِقُ علَى كُلِّ العُلَمَاءِ السابِقِينَ.

فيا تُرَى هلْ نَجِدُ فِي زمَانِنَا هَذَا التنظِيمَ فِي برامِجِ طُلابِ العِلْمِ فِي مقروءَاتِهِمْ وبحوثِهِمْ وأهدافِهِمْ؟ أَمْ أنَّ الفَوْضَوِيَّةَ هيَ السمَةُ الغَالِبَةُ على البَعْضِ؟

ثانياً: الارتِبَاطُ بَيْنَ العِبَادَةِ وَالعِلْمِ.

وهَذَا ظَاهِـرٌ فِي قَوْلِ البُخَارِيِّ: «مَـا كَتَبْتُ حدِيثًا إِلَّا توَضَّأْتُ وصليتُ ركعتين»، إِنَّنَا نتَحَدَّثُ عنْ نَحْوِ ٧٥٠٠ حديـثٍ، فلَوْ قُلْنَا إِنَّ مَـعَ كُلِّ حديثٍ ركعتَانِ فَإِنَّ النَاتِجَ سـيَكُونُ نَحْوَ ١٥ ألفَ ركعَةٍ عاشَـتْ مَعَ البُخَارِيِّ في صحِيحِهِ.

إِنَّ هذَا الارتِبَاطَ قد يغيبُ عِنْدَ بعضِ طُلَّابِ العلم، فَقَدْ يقرَأُ بعضُنَا عشراتِ الكُتُبِ وهُوَ تارِكٌ لقيامِ الليلِ وسنَّةِ الضُّحَى والروَاتِبِ القَبْلِيَّةِ والبعديَّةِ.

وقدْ يبدَأُ في رسالَةِ الماجسـتير والدكتوراه ويَسْهَرُ ويسـافِرُ ولكِنّهُ لَا يذْكُرُ أَنَّهُ فِي أثنَـاءِ ذلكَ صَلَّى عِدَّةَ ركعاتٍ لعَلَّ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ أَمْرَهُ.

إننَا نتحَدَّثُ عَنْ مشـكِلَةٍ كبيرَةٍ وَهِيَ ضعْفُ جانبِ التَعَبُّدِ فِي مسيرَةِ بعضِ طلابِ العِلْمِ، ولذَا لا نَسْتَغْرِبُ مِـنَ الجفافِ الروحَي لَـدَى البعْضِ، ولا نسـتَغْرِبُ أيضـًا مِـنَ الفُتُورِ الـذِي ظَهَـر ولا يَـزَالُ يَظْهَرُ علَى بعضِ طُلَّابِ العِلْمِ.

إنَّ العِلْمَ والعِبَادَةَ قرينَانِ لَا يَنْفَكَّانِ وَهُمَا مِنْ أسرَارِ التوفيـقِ والتأثِيـرِ فِي المجتمَعَـاتِ، فيَا طَالِـبَ العِلْمِ راجِعْ نَفْسَكَ، كيفَ أنْتَ مَعَ العِبَادَةِ؟

۞ ثالثاً: الهِمّةُ العَالِيَةُ.

وهِيَ صفَـةٌ رَائِدَةٌ لَدَى الكثيرِ مِـنَ العُلَمَاءِ، ولكنْ بِمَـا أَنَّ الحدِيثَ عَنِ البخَارِيِّ فتَأَمَّلْ بَعْضَ الجوانِبِ مِنْ هِمَّتِهِ:

١- رُبَّمَا استيقَظَ فِي الليلَةِ الواحِدَةِ عشرينَ مَرَّةً لكتَابَةِ فائِدَةٍ سَنَحَتْ لهُ.

وفِي زمَنِنَا يسهَرُ بعضُ طلابِ العلمِ عَلَى الجَوَّالِ لسَاعَاتٍ متَأَخِّرَةٍ في متابَعَةِ مواقِعِ التواصُلِ، فهَلْ مِثْلُ هَذَا سيُحَصِّلُ عِلمًا كمَا حَصَّلَهُ البُخَارِيُّ؟

٢- بَدَأَ البُخَارِيُّ بالتصنِيفِ وَعُمرُهُ ١٨ عامًا، وكَتَبَ التارِيخَ الكبيرَ عنْدَ القبرِ النبَوِيِّ عَلَى ضوءِ القمرِ في الليالِي المقمِرَةِ، وَهُنَا أَقُولُ: لعَلَّ بعضَ طُلَّابِ العلمِ لا يجِيدُ كتَابَةَ مقَالٍ علمِيٍّ متينٍ، ولَعَلَّهُ لَا يَقْدِرُ إلا علَى بُحُوثِ الجَامِعَةِ؛ لأَنَّ هناكَ شهادَةً سوفَ يحصُلُ عليهَا، أَمَّا أنْ يبَادِرَ لكتَابَةِ بحثٍ علمِيٍّ ينفَعُ بِهِ الأُمَّةَ فَلَا.

٣- قُوَّةُ الحفْظِ لدَى البُخَارِيِّ حيثُ إِنَّها أصبَحتْ إحدَى العلامَاتِ الفارِقَةِ فيهِ.

وممَّـا قَالَـهُ عَنْ نَفْسِـهِ: أحْفَـظُ مائةَ ألـفِ حديثٍ صحيـحٍ ومائتي ألـفِ حديـثٍ ضعيفٍ، إنهَـا مئَاتُ الأسَانِيدِ التِي امتَلَأَتْ بالرِّجَالِ.

ولعَلَّ البعْـضَ مِنْ طلابِ العِلْمِ قَـدْ أهْمَلَ الحِفْظَ حتَّى إِنَّهُ ربَّمَا لا يَحْفَظُ عشرين حديثًا بإتقَان.

وهذَا كُلُّهُ نتيجَةُ الكسَـلِ وضَعْـفِ الهِمَّةِ، وإلَّا فَلْو بَـذَلَ الواحِدُ مِنَّا جُهْدَهُ وسـعَى للكَمَـالِ لَحَفِظَ كمَا حَفِظَ بعْضُ الشـبَابِ المعاصِرينَ مِئَـاتِ الأحادِيثِ وبعضُهُمْ أنهَى الصحيحَيْنِ بتوفِيقِ اللهِ ثُمَّ بهِمَّتِهِ العَاليةِ التِي تُشَابِهُ هِمَمَ السَّلَفِ.

رابعاً: الرَّحَلاتُ العِلْمِيَّةُ.

إنَّ الرحْلَـةَ فِي طَلَبِ العلم سُـنَّةٌ قديمَةٌ ولقَدْ رَحَلَ العشَـرَاتِ مِنْ علمَاءِ السَّلَفِ لأجْلِ العِلْم، حَتَّى كَتَبَ فيهِمُ الخطِيبُ البغدادِيُّ مصَنَّفًا لَطِيفًا ذكَرَ فِيهِ بَعْضَ القصَصِ فِي ذَلِكَ.

وأمَّـا البُخَارِيُّ فَقَـدْ رَحَلَ مِنْ بُخَـارَى التِي تَقَعُ فِي شمَالِ إيرَانَ إلَى نيسـابُورَ، وبغدَادَ، والبصرَةِ، ومكَّةَ، ودمشْقَ، وروَى عَنْ أَلْفِ شيخٍ.

وحينَمَـا تَتَأَمَّلُ فِـي تفاصِيلِ تلْكَ الرحَـلَاتِ، فمَا هِيَ الوسِـيلَةُ للسَـفَرِ وكيفَ هِيَ الخدمَاتُ؟ وكيفَ كانَ الطرِيقُ؟، ولا تسْـأَلْ عَنِ الحَرِّ والبرْدِ والميزانِيَّةِ الماليَّةِ وغيرِ ذَلِكَ.

إنَّ هَذَا وغيرَهُ مِمَّا يأخُذُ بعقْلِكَ وقلبِكَ لاستشْعَارِ عظِيمِ الإخلاصِ الذِي عاشَ فِي قلوبِ أولئِكَ الأخيَارِ، وللتضْحِيَةِ التِي قدمُوهَا لأَجْلِ حديثِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وانظرْ للبَرَكَةِ التِي أنْزَلَهَا اللهُ بمؤلَّفَاتِهِمْ وعلومِهِمْ حتَّى وَإِنْ كانَتْ وسائِلُ الطبَاعَةِ والنَّشْرِ في غَايَةِ الضعْفِ ولكِنَّ اللهَ إذَا بَارَكَ فلَيْسَ لبركَتِهِ نهَايَةٌ.

ثمَّ تعَالَ لبعْضِ طلابِ العلْمِ فِي زَمَنِنَا، وأخاطِبُكَ يَا قارِئَ هَذِهِ الأسطُرِ: مَتَى سافَرْتَ لبَلَدٍ قريبٍ أو بَعِيدٍ لأجْلِ اللقَاءِ بِذَلكَ العالِمِ والاستفَادَةِ منْهُ؟

لماذَا لا تعزِمُ علَى تخصيصِ أسبُوعٍ فِي كلِّ ستَّةِ أشهُرٍ للسفَرِ للعَلَمَاءِ للاستِفَادَةِ مِنْهُمْ؟

إنَّ الأسـفارَ العلميَّةَ تصْقُلُ شخصيَّتَكَ، وتزيدُ مِنْ رسـوخِكَ العِلْمِـيِّ، وتعرفُكَ بالمَذَاهِـبِ، وتُبَصِّرُكَ بفنُونِ التعلِيمِ، وتشَـاهِدُ في أسفَارِكَ عُلُوَّ الهِمَمِ لدَى البعضِ مِمَّا سيدفَعُكَ بلا شَكّ للتنَافُسِ الشرِيفِ فِي العِلْمِ.

ختاماً:

هـذِهِ بَعْـضُ التَأَمُّـلاتِ اليسـيرَةِ فِـي حيَـاةِ الإمَامِ البُخَـارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى، آملُ أنْ تكونَ نِبْرَاسـًا لِي ولَكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ والمَشَارِيعُ العِلْمِيّةُ

حينَمَا تتأمَّـلُ واقِعَ بعضِ طلابِ العِلْـمِ تفرَحُ بتلكَ الجُهُودِ والبَرَامِجِ الخاصَّةِ بِهِ، فَهُوَ صاحِبُ قِراءَةٍ وحفْظٍ للمتُونِ وعُكُوفٍ فِي المَكْتَبَةِ بينَ تِلْكَ الكُتُبِ.

ولعلَّـهُ صاحِبُ رحـلاتٍ لتلْكَ الـدوَرَاتِ العلميَّةِ التِي يَنْهَلُ فيهَا مِنَ عِلْمِ العلمَاءِ وأدَبِهِمْ وسـيَرِهِمْ، أو لَعَلَّـهُ مِنْ أولئكَ الذينَ عانَقُـوا الأقلامَ تأليفـًا وبحثـًا ودِرَاسَةً.

وأنَـا هنَا أُقَدِّرُ تلـكَ الجهودَ السـابِقَةَ وأدعُو لبذْلِ المزيدِ فيهَا والسعي إلَى الكَمَالِ فيهَا، وَمَعَ ذلِكَ فإنِّي أَهْمِـسُ لطـلابِ العِلْمِ بهمْسَـةٍ أرجُو أَنْ تسـكُنَ فِي قلوبِهِمْ، فأقُولُ:

لابُـدَّ مِنَ العنَايَـةِ بالمشَـاريعِ العلمِيَّـةِ الكُبْرَى فِي واقِعِنَـا العلمِـيِّ؛ لأَنَّ الناظِـرَ فِـي البرامِـجِ العلميـةِ الخاصَّـةِ بالطَّالِبِ يجِـدُ فيهَا تنوُّعـًا وتكامُلاً نوعـًا مَـا، ولكـنْ عندمَا نتَأَمَّـلُ البرامِـجَ العلمِيَّـةَ الكبرَى التِي تخدِمُ الأُمَّةَ فإننَـا قَدْ نجدُهَا قليلَةً، بلْ قَدْ تكونُ معدومَةً فِي بَعْضِ البيئَاتِ الإسلَامِيَّةِ.

ولأَجْلِ الإيضَاحِ أقولُ: هناكَ عِدَّةُ مشـاريعَ كبرَى يصِلُ نفعُهَا إلَى جمهورٍ كبيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ رُوَّادِ العِلْمِ والمعرِفَةِ وتخدمُهُمْ فِي الجَانِبِ العلمِيِّ والشَّـرْعِيِّ فِي حيَاتِهِمْ.

وهذِهِ المشـارِيعُ غفَلَ عنْهَا الكثيرُ منْ طلابِ العِلْمِ بَلْ وبعضُ العلمَاءِ الكبارِ بسبَبِ الأشْغَالِ والمهامِ التِي نَزَلَتْ بِهِمْ، أَوْ لَعَلَّهُ قصُورٌ فِي إدرَاكِ بَعْضِ هذِهِ المشارِيعِ.

وسأطْرَحُ هنا بَعْضَ المشارِيعِ التِي أرَاهَا مهمَّةً مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِي:

١. **إنشَاءُ مكتبَاتٍ علمِيَّةٍ** فِي بعضِ المَرَاكِزِ الإسلامِيَّةِ فِي الخَارِجِ أَو في السجونِ فِي بِلَادِ العَالَمِ، أو بَلَدٍ واحِدٍ كأمريكَا أَوْ كَنَدَا مَثَلاً.

٢. **زيارَةُ بَعْضِ القُرَى والمُحَافَظَاتِ** بهدَفِ إقَامَةِ دورَاتٍ علمِيَّةٍ مستمرَّةٍ كلَّ ثلاثَةِ أشهُرٍ، بالتنسيقِ مَعَ المَرَاكِزِ الدعوِيَّةِ.

٣. **تأسيسُ مراكِزَ لترجَمَةِ الكتُبِ والرسَائِلِ العلمِيَّةِ** إلَى عِدَّةِ لُغَاتٍ.

٤. **تأسيسُ مطابِعَ وقفيَّةٍ** لطبَاعَةِ الرسَائِلِ والكُتُبِ بكافَّةِ اللغَاتِ.

٥. فتـحُ برامِجَ علميةٍ متخصِّصَةٍ فِـي البنَاءِ العِلْمِيِّ في القَنَواتِ والإذَاعَاتِ ومواقع التواصل.

٦. تأسـيسُ لجنَـةٍ علميَّـةٍ فِـي المَكَاتِـبِ الدعويَّةِ والمراكِزِ الإسـلامِيَّةِ لتعتَنِيَ بالجوانِبِ العلمِيَّةِ لهَذَا المَرْكَزِ.

٧. إنشاءُ مواقِعَ تعليميَّةٍ عَبْرَ الإنترنت بطريقَةٍ احترَافِيَّةٍ وجديدَةٍ تهتَمُّ بالجَانِبِ التعليمِيِّ للنَّاسِ.

٨. العنايَةُ بالنِّسَاءِ وفتحُ مراكِزَ أوْ مَعَاهِدَ تعليمِيَّةٍ.

٩. فتْحُ مراكِزَ ودورَاتٍ لتعليمِ الكِبَارِ.

١٠. بنـاءُ مركَزٍ علْمِيٍّ فِي البَلَدِ يسـعَى لتحقِيقِ عِدَّةِ أهدافٍ علميَّةٍ كبيرَةٍ.

١١. إقَامَةُ برامِجَ تدريبيَّةٍ لطُلَّابِ العِلْمِ في تنميَةِ الفكرِ وتطويرِ الذَّاتِ وتوسيعِ دائِرَةِ العقْلِ فِي إدرَاكِ هُمُومِ الأُمَّةِ وحاجَةِ النَّاسِ للمشَـارِيعِ العلمِيَّةِ والمؤسَّسِيَّةِ.

مِـنَ المؤكَّـدِ أَنَّ تلكَ الأفكَارَ تفْتَقِـرُ إِلَى التخطِيطِ والترتِيب، مَعَ وُجُودِ لجانٍ ومؤسَّسَـاتٍ علمِيَّةٍ لتبَنِّي تِلْكَ الأَفْكَارِ.

❋❋❋

الشيخُ وموظَّفُهُ الخَاصُّ

جلَسْتُ مَعَ الكثيرِ مِنَ الدُّعَاةِ وطُلَّابِ العِلْمِ المتميزِينَ والذينَ يَمْلِكُونَ تراثًا علميًا كبيراً وخِبْرَاتٍ فِي مَجَالِ الدعْوَةِ والتعْلِيمِ.

ولكنَّ الذي يُؤْسِفُ لهُ أَنَّكَ عندَمَا تبْحَثُ عَنْ جُهْدِ هذا الشيخِ أَوْ هَذَا الداعيَةِ تَجِدُ أَنَّهُ مبعْثَرٌ فِي الغَالِبِ، وفِي فوضَوِيَّةٍ غريبَةٍ مَعَ جَلَالَةِ الأعمَالِ التِي يقومُ بِهَا، والسَّبَبُ فِي نظَرِي عَدَمُ وجُودِ مُوَظَّفٍ خاصٍّ لذلكَ الشيخِ ولذَلِكَ الدَّاعِيَةِ.

وبيانُ هَذَا: أَنَّكَ تَجِدُ لذلكَ الشيخِ بَعْضَ المَقَالَاتِ والبحُوثِ التِي كتبَهَا أو فِي انتِظَارِ كتَابَتِهَا، ولكِنَّهُ يحتَاجُ إِلَى المُوَظَّفِ الخاصِّ الذِي يُسَاعِدُهُ فِي ترتِيبِ برامِجِهِ.

ولأجْلِ إيضَاحِ بعْضِ الغُمُوضِ حَوْلَ هَذِهِ الفِكْرَةِ، أَقُولُ:

* **يجِبُ أَنْ يُدْرِكَ الشَّيخُ** ضرُورَةَ وجودِ المُوَظَّفِ الخَاصِّ.

* **يُمْكِنُ أنْ يكونَ المُوَظَّفُ الخَاصُّ سائِقًا للمنزِلِ وكاتِبًا ومنسِقًا** إذَا كانَ يجِيدُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فيستفِيدُ الشيْخُ مِنْهُ فِي قَضَاءِ أغرَاضِ المنْزِلِ، ويستفيدُ منْهُ فِي طبَاعَةِ المَقَـالَاتِ والبُحُوثِ والخُطَبِ والرَّسَـائِلِ ومتابَعَـةِ الموقِعِ الخَاصِّ بالشـيخِ - إِنْ كانَ لَدَيْهِ مِوْقِعٌ -.

* **ضَرُورَةُ الاختِيَارِ الجيِّـدِ لهَذَا المُوَظَّفِ** ووضْعُ آليَّةٍ مناسِبَةٍ وخُطَّةِ عَمَلٍ في تطبيقِ البَرَامِجِ التِي تُرِيدُ أَنْ يُنَفِّذَهَا لَكَ.

❊ سـؤالُ أصحَابِ الخِبْرَةِ السـابِقَةِ مِنْ أهلِ العلمِ الذينَ جَرَّبُوا هَذَا الأمْرَ.

❊ دراسَـةُ الميزانِيَّةِ التي سـتُصْرَفُ لهـذا المُوَظَّفِ وتشمَلُ: تكالِيفَ الاستِقْدَامِ، والراتِبَ الشَّهْرِيَّ، وقيمَةَ السكَنِ إِنْ كانَ السَّكَنُ لديكَ غَيرَ متوفِّرٍ، وتأمِينَ سيارَةٍ لهُ ليتَنَقَّلَ بِهَا لقَضَاءِ الحَاجَاتِ.

❊ يجِبُ أَنْ يكونَ الموظَّفُ متدَرِّبًا علَى اسـتعْمَالِ الحاسـوبِ ويتْقِنُ ذلِكَ حتـى لا تضيعَ وقْتَكَ فِي تدريبِهِ.

❊ قدْ يكُونُ مِنَ المنَاسِـبِ أنْ يكونَ حافِظًا للقُرْآنِ لتَسْـتَفِيدَ مِنْهُ فِي تحفِيظِ أبنائِكَ القُرْآنَ إِنْ كَانَ مُؤَهَّلاً لِذَلِكَ.

* مِمَّـا يزيدُ قنَاعَتَـكَ بضرُورَةِ الإتيـانِ بالمُوَظَّفِ الخاصِّ أَنْ تنظُرَ فِي الفوائِدِ المترتِّبَةِ علَى ذَلِكَ ومِنْها:

- طِبَاعَةُ المَقَالَاتِ والبُحُوثِ.
- توفيـرُ الوقتِ الكثيـرِ الذي ربَّمَـا تقْضِيهِ فِي شِراءِ الأَغْرَاضِ.
- إيصَالُ أبنائِكَ إلى المَدْرَسَةِ أو المسجِدِ الذِي فيهِ حَلَقَاتُ التحفِيظِ.
- متابَعَةُ تطويرِ موقِعِكَ الخَاصِّ.
- تنسيقُ برامِجِكَ وترتِيبُ أعمَالِكَ.

* احذَرْ مِنَ الاستِعْجَالِ فِي الإتيَانِ بِهِ بِدُونِ دراسَةٍ لِمَا سيَقُومُ بِهِ.

❊ **لا تلتَفِـتْ إلَى مَـنْ ينتقِدُكَ فِي فكْـرَةِ الموظَّفِ الخَاصِّ**؛ لأَنَّه لَا يُدْرِكُ الفوائِدَ التِي تريدُهَا مِنْ وراءِ ذَلِكَ.

❊ **يمكنُـكَ أنْ تتعَـاوَنَ مَـعَ بعـضِ طُـلَّابِ العِلْمِ فِي مصروفَـاتِ موظَّـفٍ واحِدٍ**، وتسـتفِيدَ أنْتَ وإيَّاهُمْ مِنْهُ فِي بَرَامِجِكُمْ العلمِيَّةِ، وبِهَذا تكُونُ التكاليفُ المَالِيَّةُ قليلَةً عليكُمْ.

❊❊❊

طالِبُ العِلْمِ بينَ الأَخْذِ والعَطَاءِ

إنَّ مِـنْ أجْمَلِ الصفَاتِ لَدَى طالِبِ العلمِ، التَّوَازُنُ بينَ الأَخْذِ والعَطَاءِ.

والمُـرَادُ أَنْ يَحْـرِصَ الطَّالِـبُ عَلَـى تلقِّـي العِلْمِ والاجتِهَادِ فِيـهِ، وفِي نَفْسِ الوقْتِ تكونُ لَهُ مُشَـارَكَةٌ فِي نَفْعِ النَّاسِ وتعلِيمِهِمْ.

والناظِرُ في بعضِ طلابِ العلْمِ يرى أَنَّ مِنْهُمْ طائِفَةً عاشَـتْ مَـعَ العِلْـمِ وأدْمَنَـتِ المطالَعَـةَ والمُذَاكَرَةَ والرِّحْلَةَ وهَذَا مِمَّا يُمْدَحُ بِهِ الطالِبُ.

ولكنْ منْهُمْ مَنِ اعتزَلَ النَاسَ وأعْرَضَ عَنْ تعليمِهِمْ، سَواءً بِحُجَّةِ الفِتَنِ أو التواضُعِ أَوْ عَدَمِ الشهرَةِ أو بغيرِهَا مِنَ الحِيَلِ النفسِيَّةِ المُخَالِفَةِ لنصوصِ الكتَابِ والسُّنَّةِ.

ومِـنْ طلابِ العِلْم مَنْ نَـزَلَ للنَّاسِ وَبَـدَأَ بالتعليم فَأَقَامَ الـدرُوسَ والحَلَقَاتِ العلميَّةَ، ومَـلَأَ وقتَهُ بنفْعِ الآخَرِينَ، ولكنَّهُ غفَلَ عَنْ نَفْسِـهِ، وقَصَّرَ فِي الازدِيَادِ مِنَ العلمِ والبحثِ والمُطَالَعَةِ.

فإذَا بِكَ ترَاهُ بَعدَ زَمَنٍ يسيرٍ قَدْ نَسِيَ كثيراً مِنَ العلم وأصبَحَ يتحَدَّثُ بالظـنِّ، ويُكْثِرُ مِنْ عبارَاتِ «أتَوَقَّعُ، أذْكُرُ، رُبَّمَا، تحتَاجُ بحْثًا».

والواجِـبُ هُوَ التـوازُنُ بينَ التَعَلُّـم والتعليم، وأنْ يضَعَ الطالِبُ لنفْسِـهِ خطةً مناسِبَةً تهدُفُ إلَى الجَمْعِ بينَهُمَا.

❋❋❋

الانتقَاءُ في العِلْمِ

إنَّ العِلْمَ كثيرٌ وبَحْرٌ لا سَاحِلَ لَهُ، والطالِبُ الذَّكِيُّ هُوَ الـذي يحْرِصُ علـى الأَنْفَعِ والأَهَمِّ مِنْ مسَـائِلِ العلْمِ وفنُونِهِ.

وعنْـدَ التَأَمُّـلِ فِي حيَاةِ بَعْـضِ طُـلَّابِ العِلْمِ تجِدُ أَنَّ هُنَـاكَ فوضَى فِـي الانْتِقَاءِ ونتَجَ عَـنْ ذَلِكَ وجودُ المثَقَّـفِ في العلْـمِ، وغابَ صَاحِـبُ العِلْـمِ المتقِنُ والمُحَرِّرُ للمسائِلِ الضابِطُ لكَلَامِ أَهْلِ العِلْمِ.

إنَّ الانتِقَاءَ في العِلْمِ يَشْمَلُ:

١. انتِقَـاءَ الشـيخِ المتَمَيِّـزِ بعلْمِهِ وعمَلِـهِ وطريقَةِ تدريسِهِ، ومناسَبَتِهِ لمستَواكَ العِلْمِيِّ.

٢. **انتقـاءَ الكتَابِ الذِي تقـرؤُهُ** ومدَى الاسـتِفَادَةِ التِي ستجْنِيهَا مِنْ خِلَالِهِ.

٣. **انتقَاءَ الدورَةِ العلمِيَّةِ التِي تحضُرُهَا**، فلَيْسَ كلُّ دورَةٍ تناسِـبُكَ، وقَدْ يناسِـبُ أنْ تَحْضُرَ بعضَ دروسِ الدَّوْرَةِ لا كُلَّهَا.

٤. **انتِقَـاءَ المُحَاضَرَةِ التي تسـتَمِعُ لَهَا**، والحَرْصَ علَى مَا يفيدُكَ ويزيدُكَ علمـًا وبصيرَةً.

٥. **انتقَاءَ البحثِ العلمِيِّ الذِي تَكْتُبُهُ.**

والحديـثُ عـنِ الانتِقَـاءِ يطُـولُ وفروعُـهُ كثيرَةٌ، وطَالِـبُ العِلْمِ الذَكِيُّ يـدرِكُ أكْثَرَ مِمَّا أشـرْتُ إليهِ، والتوفِيقُ بيَدِ اللهِ تَعَالَى.

نشرُ علْمِ العُلَمَاءِ

رسـالَتِي لذَلِكَ الذِي لازَمَ العُلَمَـاءَ فترةً مِنَ الزمَنِ فِـي أحلَـى أيَّامِ العمـرِ، تلـكَ اللحظَاتُ التِـي كانَتْ بحَقٍّ زُبْدَةَ العمرِ فِي مُجَالَسَـةِ العُلَمَاءِ والاقتبَاسِ مِنْ علمِهِمْ وتقييدِ الفوائِدِ التِي خَرَجَتْ مِنْ أفْوَاهِهِمْ.

يا مَنْ لازَمَ العُلَمَاءَ وكَتَبَ عنْهُمُ الفَوَائِدَ، يَا تُرَى هَلْ فَكَّرْتَ فِي جَمْعِ تلكَ الفوائِدِ وضمِّ النظيرِ إلَى النظيرِ لِكَـيْ تُخْرِجَهَا للنَّاسِ عَبْرَ مُؤَلَّـفٍ ينتفِعُ منْهُ القاصِي والدَّانِـي، أوْ ترْسِـلَهَا لبعْـضِ المَوَاقِـعِ الإسْـلَامِيَةِ ليستفِيدَ منْهَا زُوَّارُ المَوْقِعِ؟

يـا طَالِبَ العلم، إنَّ خدمَةَ العلمَـاءِ الذينَ لازَمْتَهُمْ وكتَبْـتَ عنهُمْ شَـرَفٌ لـكَ، وإنَّ حاجَـةَ العُلَمَاءِ لَكَ

تتَلَخَّصُ فِي عُلُوِّ الأدَبِ فِي المُجَالَسَةِ وحسنِ النشرِ لفَوَائِدِ تِلْكَ المُجَالَسَةِ.

واللهِ إنَّ الحُزْنَ ليحيطُ بِي عندَمَا أَرَى مئَاتِ الطلابِ الذيـنَ لازَمُوا ذلكَ الشـيخَ ولَكِنْ لَمْ يعْتَـنِ بإخْرَاجِ علمـهِ إلَا أفْرَادٌ قَدْ لا يتَجَاوَزُونَ أصابِعَ اليدِ الواحِدَةِ أحيَانـًا.

فأيـنَ البِرُّ بالعلمَاءِ؟ وأينَ نَشْـرُ الفوائِـدِ؟ هلْ نَزَلَ الكَسَـلُ بسـاحَةِ أولئِكَ الطلابِ؟ أَمْ أَنَّ همُومَ الدنْيَا مَلَأَتِ الفؤَادَ فَمَنَعَتْهُمُ التفكِيرَ فِي ذَلِكَ؟

إنِّي لَا أَجِدُ لَكَ عُذْراً فِي عدَمِ النشْـرِ؛ لأَنَّ الوَسَائِلَ ممكنَةٌ، والوَقْتَ فيهِ متَّسَـعٌ، فأَرجُـو أَنْ تَأْخُذَ قلَمَكَ وتُخْرِجَ عِلْمَ شيخِكَ الذِي نفَعَكَ بعِلْمِهِ وأدَبِهِ.

عندَ الفِتَنِ مَنْ هُوَ شيخُكَ؟

مِـنْ مصائِـبِ الفِتَنِ أنَّهـا تُغيِّب عنْدَ بَعْـضِ النَّاسِ مَصْـدَرَ التَّلَقِّـي للفَتَـاوَى، فتَجِـدُ أنَّ بعـضَ هـؤلاءِ يختَارُونَ مَنْ يشـاؤُونَ مِنَ المُفْتِينَ، سَـواءً كَانَ ذلكَ المفتي مِنْ شبكَةِ الإنترنِتِّ أوْ مِمَّنْ فَازَ بكثْرَةِ المتابِعِينَ فِي مواقِعِ التواصُلِ، أَوْ مِمَّنْ ظهَرَتْ صورَتُهُ فِي قَنَاةٍ.

ولا يـزَالُ الفِئَامُ مِنَ النـاسِ يتَتَبَعُـونَ الفَتَاوَى التِي تُنَاسِـبُ أهواءَهُـمْ، ويفرَحُـونَ بِهَـا وينشـرُونَها عَبْرَ وسـائِلِ النَّشْـرِ المُتَاحَةِ مِنْ رسـالَةِ جَوَّالٍ أو جلسَـةِ مُسَـامَرَةٍ فِي اسـتِرَاحَةٍ، ويعقُبُ هَذَا الفَرَحَ التمَسُّكُ بِهَا والتَّعَبُّدُ للهِ بِهَا وهنَا مَكْمَنُ الخَطَرِ.

وعنْدَمَا ترْشِـدُ هـؤلاءِ لفَتَاوَى كبَـارِ العُلَمَاءِ مِمَّنْ شابَتْ رؤُوسُهُمْ فِي العلم إذَا بِهِمْ يرفضُونَهَا ويتهمونَ أصحَابَهَـا بِأَنَّهُـمْ لا يدرِكُـونَ الوَاقِـعَ، ولا يفْهَمُونَ النصوصَ ولَا يعرِفُونَ التيْسِيرَ عَلَى النَّاسِ.

وهـذَا – واللهِ – مِنْ صُورِ الافْتِتَـانِ فِي هذا العصْرِ حينَمَـا يُغيَّـبُ رأيُ العالِـمِ البصيرِ ويُقْبَـلُ رأيُ غيرِهِ مِـنَ الصغَـارِ أوْ مِمَّنْ لَمْ يُعرَفْ بالعِلْمِ ولمْ يَشْـهَدْ لهُ العلمَاءُ بالطَّلَبِ.

ورحِمَ اللهُ السلَفَ الذينَ كانُوا يُمَيِّزُونَ مَنْ يأخُذُونَ عَنْـهُ العِلْمَ؛ قالَ ابْنُ سـيرينَ رحِمَهُ اللهُ تعَالَى: إِنَّ هذَا العِلْمَ دينٌ، فانْظُرُوا عَمَّنْ تأْخُذُونَ دينكُمْ.

❋❋❋

طالِبُ العِلْمِ والإنْتَرْنِت

لا يخْفَـى علَى كُلِّ ذِي عَقْـلٍ أنَّ الإنترنِتَّ هُوَ أكبرُ وسيلَةٍ فِي سُرْعَةِ وصولِ المعلُومَةِ، وتشارِكُهُ القَنَواتُ فِي بعْضِ ذلِكَ.

وإذا صَحَّ هَذَا فَإِنَّ طَالِبَ العلْمِ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ هَذَا البَابَ مِنْ عِدَّةِ زَوَايَا:

١. التَّصَفُّـحُ لمَوَاقِعِ العُلَمَاءِ والفَتَـاوَى والبُحُوثِ لرؤْيَةِ الجديدِ والمُفِيدِ.

٢. طبَاعَةُ المسـائِلِ والبحُوثِ مِـنَ المَوَاقِعِ النافِعَةِ وتكوينُ مكتبَةٍ وَرَقِيَّةٍ ضمْنَ مكتبَةِ منزِلِكَ.

٣. الكتَابَـةُ فِي المَوَاقِـعِ النَافِعَةِ بالمَقَـالِ المُفِيدِ أَوِ المَسْأَلَةِ العِلْمِيَّةِ ممَّا يُثْرِي تِلْكَ المَوَاقِعَ ويُسْهِمُ فِي نَشْرِ العِلْمِ لِمَنْ يريدُهُ.

٤. المُشَـارَكَةُ فِي الـرُدُودِ العِلْمِيَّةِ علَى الشُّـبُهَاتِ والبِدَعِ المُعَاصِرَةِ، وفِي هذَا دِفَاعٌ عَنِ المنْهَجِ، وجهادٌ فِي سـبيلِ العِلْـمِ، قَالَ ابـنُ تيمِيَةَ: الرادُّ عَلَى أَهْلِ البِدَعِ مُجَاهِدٌ.

٥. وَضْعُ دروسٍ فِي اليوتيوبِ.

٦. إنشَـاءُ طلابٍ عَبْـرَ الإنترنِـتِّ يتتلْمَـذُونَ علَى يديـكَ مِـنْ مُخْتَلَـفِ دُوَلِ العَالَمِ، وقَـدْ جرَّبَهَا بَعْضُ الإخوَةِ ونَفَعَتْ.

٧. تحمِيلُ البَرَامِجِ النَّافِعَةِ التـي تُهِمُّ طالِبَ العِلْمِ، والتِي تُسَهِّلُ عليهِ عمليَّةَ البحْثِ والاطِّلَاعِ.

٨. مَتَابَعَةُ الجديـدِ مِنَ الكُتُبِ والإصـدَارَاتِ التِي تُثْرِي معلومَاتِ طُلَّابِ العِلْمِ.

٩. الاطِّلَاعُ علَى واقِعِ المسـلِمِينَ ورؤْيَةُ مَا يجرِي لَهُمْ ليكُـونَ طَالِبُ العلْمِ علَى بصيـرَةٍ بواقِعِهِ، ليتَمَكَّـنَ مِـنْ تحلِيـلِ الوَاقِـعِ وِفْـقَ المَنْهَـجِ الشرْعِيِّ.

❋❋❋

ختاماً

كانَ الهَدَفُ مِنْ هذِهِ المَقَالَاتِ تبصَيرَ طالِبِ العِلْمِ ببعْضِ المَعَالِمِ المُهِمَّةِ فِي مسيرَتِهِ العلمِيَّةِ.

نسأَلُ اللهَ أَنْ ينْفَعَ بطُلَّابِ العلْمِ، وأَنْ يَجْعَلَهُمْ قدوَةً فِـي العِلْمِ والعَمَلِ، وأَنْ يُبَارِكَ فِـي بَرَامِجِهِمُ العِلْمِيَّةِ والدَعوِيَّةِ.

❋❋❋

الفهرس

- مقدمة ٣
- لماذَا نطلُبُ العلم؟ ٤
- فوائِدُ العلمِ في حياةِ الشخْصِ ١١
- الملائِكَةُ مَعَ طالِبِ العلْمِ والدّاعِيَة ١٧
- التمَاسُ الأعذَارِ في المسيرَةِ العلميّة ٢٠
- أدوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ٢٤
- الحاجَةُ إلى الصّدِيقِ في طَلَبِ العلْم ٢٨
- الأخلاقُ في حيَاةِ أهْلِ العلْمِ ٣٠
- الهمَّةُ العالِيَةُ في العلْمِ ٣٣
- طالبُ العلمِ وثَقَافَةُ الوَاقِعِ ٣٥
- طالبُ العلمِ والقُرْآن ٣٧
- طالِبُ العلمِ واللِّسَان ٣٩
- العنايةُ بفقْهِ المنَاسَبَاتِ ٤٢

- بينَ الثقَافَةِ والتأصيلِ العِلْمِيِّ ٤٥
- طالِبُ العِلْمِ بينَ الحُكْمِ الفقهِيِّ ٤٨
- والإرْشَادِ التربَوي ٤٨
- الإكمَالُ العلمِيُّ أَوِ الدعوي ٥٢
- طالِبُ العِلْمِ ومقَدِّمَاتُ العُلومِ ٥٧
- الرحْمَةُ عنْدَ طالِبِ العلم ٥٩
- كِلانَا علَى خير ٦١
- التقوى يَا طَالِبَ العِلْمِ ٦٤
- طالِبُ العلمِ وضبْطُ القوَاعِد ٦٧
- طالِبُ العِلمِ والمَال ٧٠
- طالِبُ العِلْمِ والحَسَد ٧٤
- تعلَّقْ بالعِلْمِ لا بالعَالِمِ ٧٨
- هيبَةُ العُلَماءِ لا تمنَعُكَ مِنْ سؤَالِهِمْ ٨١
- مِنْ مواقِفِ السلَفِ في الحَذَرِ مِنَ الفَتْوَى ٨٢

- طالبُ العلْمِ والوقت ٨٦
- طالبُ العلمِ والقَلَم ٩١
- الجمعُ بينَ حفْظِ الحديثِ وفَهْمِه ٩٤
- ١١ تنبيهٌ حَوْلَ التعَصُّبِ للشيوخ ١٠٣
- الشيخُ بينَ التدريسِ والتصنيف ١٠٧
- كيفَ تكتُبُ الفوائدَ العلميّة؟ ١١١
- الأصنافُ الثلاثةُ في التعليمِ ١١٨
- طالبُ العلْمِ مَعَ الشيوخ ١٢٥
- أَدَبُ السُّؤَال ١٢٧
- طالبُ العلْمِ والزَّوَاج ١٣٣
- الصبر يَا طالبَ العلْمِ ١٣٨
- طالبُ العلْمِ وبرُّ الوَالِدَيْن ١٤٣
- طالبُ العلْمِ ومهارَةُ الكتَابَة ١٤٦
- طالبُ العلْمِ والإخْلَاص ١٥٥

- الفَوضَى في طَلَبِ العِلْمِ ١٥٨
- طالِبُ العلمِ وطَلَبُ الرِئَاسَة ١٦٠
- طالِبُ العِلْمِ ومكتَبَتُهُ (٣٩ فكْرَةً) ١٦٣
- طالِبُ العِلْمِ واليوْمُ العِلْمِيُّ ١٧٦
- طالِبُ العِلْمِ وقِصَصُ العُلَمَاءِ ١٨٧
- ١٥ وصيةً لطَالِبَاتِ العِلْمِ ١٩٠
- طَالِبُ العِلْمِ والدّعْوَةُ ١٩٦
- المشايخُ وكُنُوزُهُمُ العِلْمِيَّة ٢٠٠
- أسبَابُ الفُتُورِ العِلْمِيِّ ٢٠٢
- مواطِنُ القدوَةِ في شَخْصِيّةِ البُخَارِيِّ ٢١٢
- طالِبُ العِلْمِ والمشَارِيعُ العِلْمِيّةُ ٢٢١
- الشيخُ وموظَّفُهُ الخَاصُّ ٢٢٦
- طالِبُ العِلْمِ بينَ الأَخْذِ والعَطَاءِ ٢٣١
- الانتقَاءُ في العِلْمِ ٢٣٣

- نشرُ علْمِ العُلَمَاءِ ٢٣٥
- عندَ الفتَنِ مَنْ هُوَ شيخُكَ؟ ٢٣٧
- طالبُ العلْمِ والإنْتَرْنِت ٢٣٩
- ختاماً ٢٤٢
- الفهرس ٢٤٣

من أراد المزيد من المقالات والبحوث والكتب

فسوف تجد كل ذلك وأكثر في موقعي على الإنترنت

www.s-alamri.com